

أقدم لك ...

الفلسفة

تأليف

وجودي جروفز

ديف رويتسون

ترجمة

إمام عيد الفتاح إمام

THE INTERNATIONAL BESTSELLER

INTRODUCING Philosophy

"Introducing's gift has been
to raise the précis to the
level of an art form."

Guardian



DAVE ROBINSON
JODY GROVES

INTRODUCING :

Philosophy

المقدمة

بقلم المترجم

" أقدم لك... هذا الكتاب!"

هذا هو الكتاب الثالث في سلسلة " أقدم لك... " ، وهو يستهدف تعريف القارئ غير المتخصص بمعنى الفلسفة. لكنه جاء في الواقع . عرضاً لتاريخ الفلسفة الغربية بأسرها منذ نشأتها في بلاد اليونان، في القرن السادس قبل الميلاد، عندما طرح فلاسفة مالطية ما يسميه المؤلفان " بالسؤال الكبير" : من أين جاء هذا العالم . . ؟ ومم يتألف؟ وتتعدد الإجابات ...

ثم يأتي سقراط، والسوفسطائيون، ليتغير مسار الفلسفة من البحث في الكون إلى مشكلات الإنسان لاسيما في ميداني الأخلاق والسياسة . وتتوالى المذاهب الكبرى: أفلاطون، وأرسطو . . ثم الرواقية والأبيقورية، والفلسفة الاسكولائية في العصر الوسيط - مع الإشارة إلى دور العرب في الاحتفاظ بالشعلة بعد أن خيم على أوروبا ظلام دامس . .

ويواصل المؤلفان حديثهما عن رحلة الفكر في عصر النهضة، والعصر الحديث، إلى عصر التنوير، والفلسفة المعاصرة حتى الحداثة، وما بعد الحداثة...

ذلك كله في أسلوب مبسط وسهل لكنه شيق وعميق، حتى لنجد المذاهب الكبرى - ديكارت وكانط وهيجل ... إلخ - ملخصة في عبارات موجزة واضحة، تزيينها رسوم توضيحية لاتخلو من طرافة . . ! ومن هنا كان هذا الكتاب دعوة إلى القارئ للدخول في هذا العالم الرحب: عالم الفلسفة: .

وإني لأرجو أن أكون - بترجمته - قد شاركتُ في دعوة القراء للدخول في عالم شاقٍ
ووعر، نعم، لكن ممتع حقًا .. !
والله نسأل أن يهدينا جميعًا سبيل الرشاد،

إمام عبد الفتاح إمام

الهرم في مارس ٢٠٠١

أسئلة :

معظم الناس يكونون عادة مشغولين جداً، وليس لديهم الوقت لدراسة ذلك النوع من التفكير الذى يسمى، فى العادة، بالتفكير «الفلسفى». ذلك لأن عليهم أن ينفقوا وقتهم فى الكفاح من أجل البقاء، أو أن يعيشوا حياة روتينية بلا ضجر. لكن هناك قلة - فى أحوال نادرة - من الأفراد المثيرين المربكين، يجدون لديهم الوقت ليسألوا أسئلة خداعة فى بساطتها لا يبدو أبداً أن لها أجابات بسيطة . مثل :

- ماهى طبيعة الواقع ؟ ماذا تكون عليه الموجودات البشرية فى حقيقتها ؟
- ما هى الصفة الخاصة بالذهن البشرى ، وبالوعى البشرى ؟
- أيمكن أن نكون على يقين من شىء على الإطلاق ؟
- أهنالك اختلافات واضحة بين الحجج الصحيحة وغير الصحيحة ؟
- ما هى الحقيقة ؟ وما هو المعنى ؟



ما هي الفلسفة :

قد يبدو أن أسئلة الفلسفة لا ترتبط كثيراً بحياتنا اليومية. غير أن الفلاسفة لا يزالون يبحثون لها عن إجابات مقنعة. وأحياناً يجدونها، وكثيراً ما لا يصلون إليها.

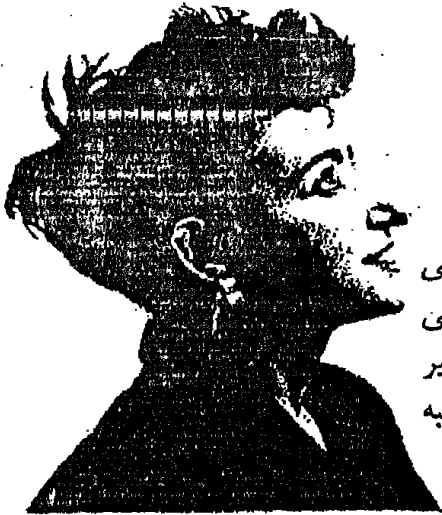


يعتقد بعض الفلاسفة أن الفلسفة لا بد لها أن تخرج من الحجاج والنقاش، في حين يعتقد بعضهم الآخر أنها لا يمكن أن تنتج إلا من الاستدلال الاستنباطي.



الثيوقراطية (١) :

كان المصريون القدماء بارعين جداً في الرياضيات، وفي البناء، وهندسة القبور، لكنهم لم يكونوا مشهورين في عالم الفلسفة تفسيراتهم الدينية للأشياء متقنة ونايضة بالحياة لكنها ليست مقنعة بمصطلحات الفلسفة. كما كان البابليون بالمثل رائعين في الرياضيات وعلم الفلك.



لكنهم كانوا فيما يبدو قانعين بالإجابات الأسطورية على الاسئلة الأساسية.

المجتمعات الثيوقراطية التي تحكمها طوائف الكهنة هي في العادة ذات فكر ساكن احتكاري. وهي تصر على تفسيرات معتدلة، ونحيط بهمة الأفكار المستقلة غير المتعارف عليها. فمعتقدات اليوم ينبغي دائماً أن تشبه معتقدات الأسس.

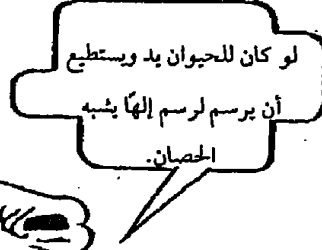
(١) الحكم الديني (الترجم).

اليونان :

أما اليونان القديمة فهي التي ابتكرت الفلسفة (١)، لكن لا أحد في الحقيقة يعرف السبب فقد كانت اليونان أمة تجارية عظيمة سيطرت على معظم شرقي البحر المتوسط، واستعارت الأساطير والتصوف مثلما استعارت فن العمادة والرياضيات من جيرانها. غير



أن بعض العلماء والفلاسفة اليونان المزعجين اعتقدوا أنه لا بد أن يكون هناك منطق ونظام كامن خلف الأشياء. ولم يكن لديهم الرغبة في قبول التفسيرات الدينية، ومن أمثال هؤلاء الفلاسفة أكسانوفان (٥٦٠ - ٤٧٨ ق.م.)



وهكذا نجد أن الفلاسفة اليونانيين الأول سعوا إلى إجابات نسميها الآن إجابات «علمية» وليست «دينية».

(١) هذا هو الرأي الذي ذهب إليه جمهرة مؤرخي الفلسفة الغربيين من أرسطو قديماً حتى برتراند رسل حديثاً. وحيثهم أن قدماء المصريين لم يعرفوا الفكر النظري بل اتجه تفكيرهم في الأعم الأغلب نحو موضوعات دينية وعملية، وهو رأي مشكوك فيه إلى حد كبير فهناك الكثير من الأفكار الفلسفية التي ظهرت في حضارة الشرق القديم فإذا كان طاليس أول الفلاسفة قد ذهب إلى أن الماء هو أصل الأشياء جميعاً، فإن هذه الفكرة نفسها سبق أن ظهرت عند المصريين والبابليين. وامتزاج الفكر الشرقي القديم بالفكر الديني لا ينفي عنهم الاهتمام بالفكر النظري، فقد حدث هذا الامتزاج في شتى عصور الإنسانية لاسيما في العصور الوسطى الأوربية مثلاً. (المترجم).

سؤال ملطية الكبير :

أول الفلاسفة الحقيقيين كانوا من خارج اليونان يعيشون في ملطية - وهي مستعمرة تقع الآن على الساحل التركي - في القرن السادس قبل الميلاد. وقد طرحوا السؤال الكبير : ما الأصل الذي صنع منه الواقع ؟ والواقع أنه كان سؤالاً غريباً. فمعظم الناس سوف يجيبون عليه بقولهم أنه مصنوع من أشياء كثيرة مختلفة. لأنه يبدو كذلك. غير أن فلاسفة ملطية رفضوا أن يكون ما نراه هو نفسه بالضرورة ما هو حقيقى.



فيثاغورس والرياضة :

فيثاغورس (٦٧١ - ٤٩٦ ق.م.) طرح نفس السؤال الكبير. لكنه أجاب إجابة مختلفة أتم الاختلاف. اعتقد أن الجواب هو الرياضيات. كان فيثاغورس يعيش في جزيرة «ساموس Samos» قبل أن يهاجر مع تلاميذه إلى كروتون Croton في جنوب إيطاليا. وكان نباتياً يعتقد في التناسخ، ويعلن أن أكل الفول خطيئة. ولقد عبد هو وتلاميذه الأعداد والفكر التي صنع منها العالم. وأن الحقيقة تنكشف على نحو أوضح عن طريق النسب، والمربعات، والمثلثات قائمة الزاوية. والتقدم الذي أحدثه فيثاغورس هو أنه وصل إلى أن الحقائق الرياضية لا بد من البرهنة عليها لا أن تقبل فحسب. وتبدو صوفية الأعداد عنده بالنسبة لنا بالغة الغرابة، فهو يعلن أن «العدالة» هي رقم ٤ لأنه عدد مربع؛ وفي النهاية أصيب بصدمة عندما اكتشف الأعداد الصماء مثل «باي Pi»^(١) والجذر التربيعي للعدد ٢.



بل أنه أغرق واحداً من تلاميذه اسمه : هيبارس الترتي، لأنه كشف عن هذه الحقيقة الخطيرة للناس في الخارج^(٢). وهذا يدل على أنه لم يكن جميع الفلاسفة واسمى الأفق بصدد نقاش تلاميذهم.

(١) باي هو الرمز الذي يمثل النسبة بين طول محيط الدائرة وقطرها وقد سبق أن ذكره ٣,١٤١ (المترجم).
(٢) كانت المدرسة الفيثاغورية جماعة شبه مغلقة على نفسها - لاسيما «فريق المتظلمين» الذي يعيشون معاً، ويأكلون معاً، وتحرم عليهم الملكية الخاصة. كما كانت التعاليم الفيثاغورية «سرية» لا يجوز إفشاؤها للناس في الخارج ولقد طرد فيثاغورس بعض التلاميذ من المدرسة لأنهم أذاعوا بعض هذه التعاليم إلى الناس في الخارج (المترجم).

هيراقليطس والعالم المتدفق :

كان هيراقليطس الذي عاش حوالي سنة ٥٠٠ ق.م. أكثر اتساعاً في قبول كون لا عقلى. وكان يلقب «الربان» لتأكيدِه أن كل شيء في العالم يتغير، وفي حالة مستمرة من الصراع ولقد أوضح ذلك بعبارة شهيرة هي :



أنت لا تستطيع
أن تنزل النهر الواحد
مرتين.

ولقد ذهب تلميذه أقراطليوس
(٤٠٠ ق.م.) أبعد من ذلك :

أنت لا تستطيع أن تنزل في النهر
الواحد ولا حتى مرة واحدة.



لكن كثيراً ما يساء فهم هيراقليطس،
والواقع أن وجهة نظره عن الكون مترابطة
ومتسقة، فالمعرفة التي نتلقاها عن طريق
حواسنا ونؤمن بها - في حماقة - هي
بالضرورة معلومات "بالنسبة للملاحظات".

فالصعود إلى أعلى الجبل والهبوط منه يعتمد على المكان الذي تقف فيه في لحظة معينة. وهذا هو ما تفعله الجبال.



الطريق إلى أعلى وإلى
أسفل واحد وهو نفس
الشيء



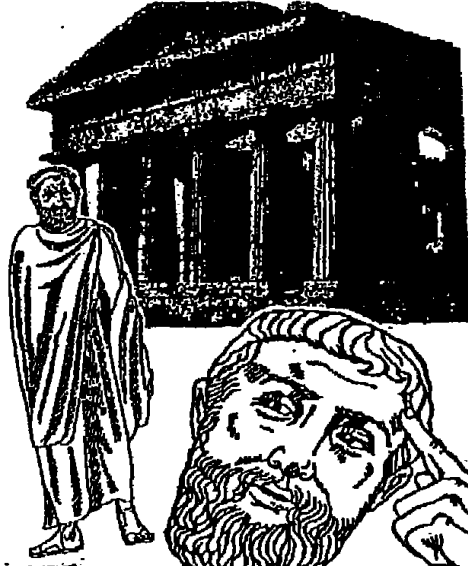
إذا لم يتغير النهر طوال الوقت، فلن يكون نهراً. لكننا لا نزال - مع ذلك - نعرف أنه ما هو عليه. وهكذا فإن هيراقليطس يذهب إلى أن المعرفة الحقيقية تأتي من التفكير بالعقل وليس من النظر إلى الأشياء. ويمكن أن ننظر إلى تشديده على التغير السريع على أن مساهمته في الإجابة عن السؤال الكبير هي أن العالم مصنوع من النار وهي شيء دائم التغير ومع ذلك

تظل هي هي
نفسها بطريقة
فريدة.



بارميندس :

كتب بارميندس الإيلي (١) (٥١٥ - ٤٥٠ ق.م.) في جنوب إيطاليا قصيدة طويلة عن سلطان المنطق والمعرفة - (٢). وهو يتفق مع هيراقليطس على أن المعرفة التجريبية هي ذاتية بطريقة لا يوثق بها. وهذا يعني أنه ليس أمام الموجودات البشرية سوى مصدر واحد للثقة ، هو العقل إذا ما أرادوا اكتشاف أى حقائق دائمة عن العالم.



أن تفكر
وان توجد فذلك
شيء واحد.

ولقد استطاع بتطبيق الحجة المنطقية الصارمة أن يصل إلى فكرة مثيرة عن الزمان، فكل ما هو موجود بالفعل هو الحاضر المباشر، والحديث عن الماضي والمستقبل هو مجرد كلام أو حديث - ليس له أى وجود حقيقى أو واقعى.

(١) نسبة إلى مدينة «أيليا.. Elca» في جنوب إيطاليا ، وتسمى مدرسته باسم المدرسة الايلية (الترجم)
(٢) ترجم هذه القصيدة إلى اللغة العربية الدكتور أحمد فؤاد الأهواني فى كتابه «فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط» عيسى البابى الحلبي، عام ١٩٥٤ (الترجم).

مفارقة زينون عن الحركة :

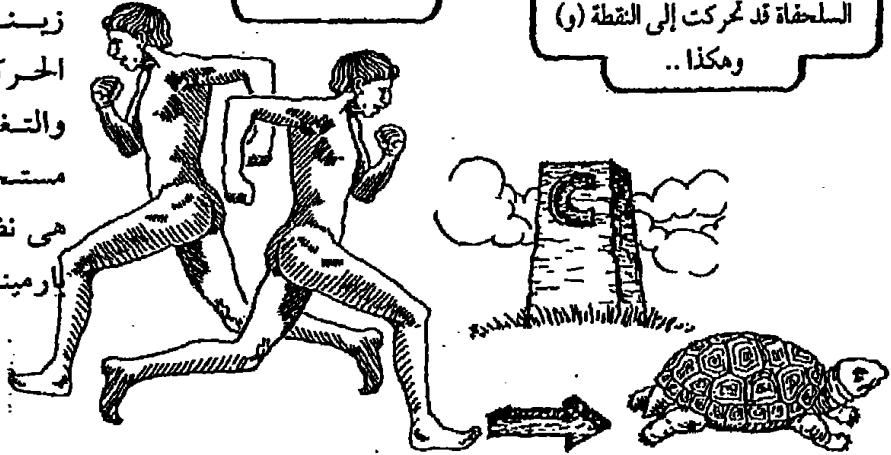
وقد اشتهر تلميذه زينون (٤٩٠ - ٤٣٠ ق.م.) بابتكاره للمفارقات التي اكتشفت كثيراً من العلاقات المحيرة الموجودة بين الزمان والمكان. وتدور أشهرها حول السباق بين أخيل والسلحفاة^(١). فأخيل - بروح رياضية - يعطي للسلحفاة أسبقية البداية نظراً لبطئها. غير أن أخيل يكتشف أنه يستحيل أن يلحق بخصمه الحيوان الزاحف.

وهكذا سوف تسبق السلحفاة أخيل باستمرار بقدر ولو ضئيل، لكنه لا يمكن اجتيازه. وهي حجة لاتزال تزعج بعض الفلاسفة^(٢)، وعلماء الرياضة وعلماء الطبيعة. وهناك أيضاً نقطة لصالح هذه المحيررات، إذ يذهب زينون إلى أن الحركة الحقيقية والتغير الحقيقي مستحيلان - وتلك هي نظرة أستاذه أرميندس.



إذا كان على أخيل أن يصل من النقطة (أ) إلى نقطة النهاية (ب) فلا بد له أولاً أن يصل إلى نقطة (ج) وهي نقطة البداية للسلحفاة.

لكن السلحفاة في هذا الوقت سوف تكون قد تحركت إلى النقطة (هـ) وعندما يصل إليها أخيل سوف تكون السلحفاة قد تحركت إلى النقطة (و) وهكذا ..



(١) اختار «زينون» في حجة «أخيل والسلحفاة» لأن الأول هو أسرع العدائين عند اليونان، والثانية هي أبداً الزواحف (الترجم)

(٢) تقوم الحجة أساساً على إمكان قسمة المكان إلى ما لا نهاية فإذا افترضنا أن خط السير هو من (أ) - إلى (ب) فإن ذلك يستلزم قطع نصف المسافة ثم نصف النصف.. وهكذا إلى ما لا نهاية، فكيف يمكن قطع المسافة اللامتناهية في زمن متناه؟ ذلك خلف محال وبالتالي فالحركة مستحيلة، وما يظهر منها ليس سوى وهم (الترجم).

أنبادوقليس والعناصر الأربعة :



كان أنبادوقليس (٤٩٠ - ٤٣٠ ق.م.)

يعيش في مستعمرة صقلية اليونانية.

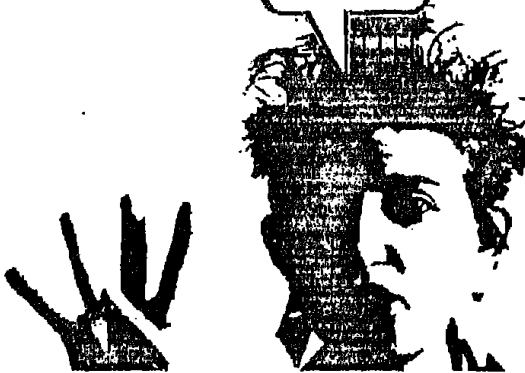
وكان طبيياً، صاحب إجابة

خاصة عن السؤال الكبير.

يتكون العالم من التراب والهواء،
والماء، والنار. وتحكمه قوتان :
الحب والكراهية
أو الجذب والطرْد.

وظلت العناصر الأربعة
ينظر إليها على أنها جواهر
أساسية حتى العصر
الوسيط.

وكان ادخال هذه القوى الجديدة، محاولة
جديدة لتفسير كيف تتجمع المركبات
وتفسد. وربما قاده الطبيعة عندة إلى
دورة مستمرة من تناسخ البناء والهدم.
ولقد زعم أنه كان بالفعل «صبيًا وفتاة،
وغصنًا وطائرًا، وسمكة البحر» قبل أن
يصبح أنبادوقليس. ولقد أنهى حياته بأن
قفز في قمة بركان ايتنا Etna. وربما
فعل ذلك كبرهان على فلسفته.



الذريون :

ولقد شرح لنا «أنكساجوراس» (٥٠٠ - ٤٢٨ ق.م.) كيف "أنك ما تأكل"، فكل شيء عبارة عن مزيج. ولذلك هناك أجزاء من الدم، واللحم، والعظم، والأظافر في القمح، وذلك ما يفسر كيف يشكل الطعام الجسم البشري.



وفي النهاية، هناك قطعة من كل شيء في كل شيء. ومن ثم تتألف عن عدد لا نهاية له من الأشياء الصغيرة.

ولا بد أن تكون هناك أجزاء دقيقة لا يمكن في النهاية تقطيعها أكثر من ذلك، وإلا فإن المادة لا يمكن أن توجد. هذه «الذرات» التي لا يمكن تقسيمها، تتحرك، وتتصادم مشكلة مركبات جديدة لا تقبل القسمة. وهي كلها تفسر كيفيات العالم الموضوعي كالوزن، والشكل والحجم.

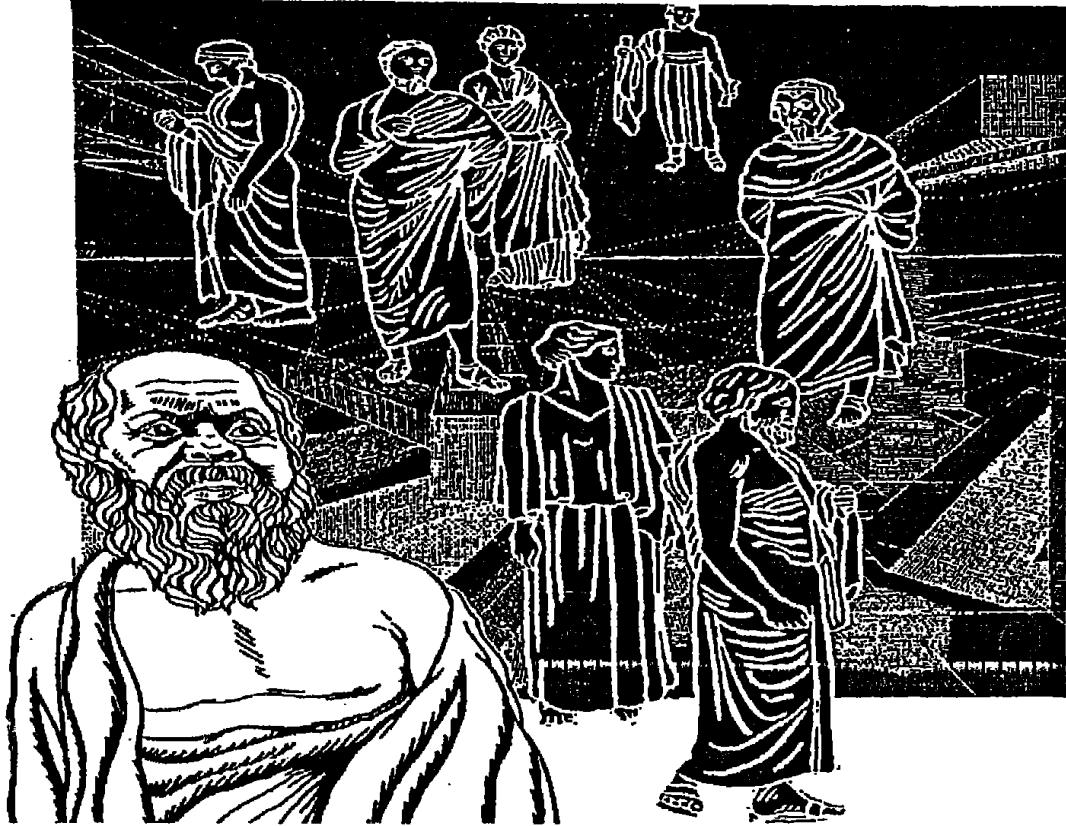
ولا تظهر كيفيات أخرى مثل الرائحة إلى الوجود إلا عندما تتفاعل ذرات موضوع ما مع ذرات الأنف البشري.



كان ديمقريطس - الفيلسوف الذري (٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م.) معاصراً لسقراط، واشتهر بأرائه الحدسية عن المادة التي كانت تستبق على نحو مذهل، نظريات علماء الذرة في القرن العشرين.

أقدم لك : سقراط :

تُعرف جميع هذه النظريات عن الذهن وعن الطبيعة النهائية للعالم باسم النظريات السابقة على سقراط، وبما تجدر ملاحظته بصدد هذه التخمينات والحدوس التشابه القوي بينهما، وبين النظرية العلمية في القرن العشرين. وقد وصلت إلى هذه المرحلة لا عن طريق استخدام مسرعات الجزيئ بل عن طريق التفكير الشاق فحسب.



عاش سقراط (٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م.) في القرن الخامس قبل الميلاد في أثينا دولة المدينة الصغيرة التي كانت أمبراطورية قوية في البحر الأبيض. وكان الكثير من الأثينيين يملكون عبيداً مما أعطاهم فسحة من الوقت والفراغ لابتكار أشياء مثل : الدراما، والتاريخ، والفلك، والفلسفة، فاعتقدوا أنهم أعظم أمة متحضرة على ظهر الأرض، وربما كانوا كذلك فعلاً.

النسبية الثقافية :

سافر هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٤ ق.م.) المؤرخ إلى أصقاع كثيرة خارج اليونان، ووصل إلى بعض الاكتشافات المثيرة عن معتقدات الشعوب الأخرى وسلوك الناس. ولقد رأى الفلاسفة السوفسطائيون من أمثال بروتاجوراس (٤٩٠ - ٤٢٠ ق.م.) المضامين الكاملة لهذه الاكتشافات وأدى به ذلك لأن يطرح بعض الأسئلة المقلقة.



إذا كانت الشعوب الأخرى تعتقد في أشياء مختلفة عما تعتقد أنت - فكيف تعرف أن معتقداتك صحيحة؟ بل كيف يمكن لك أن تعرف أن معتقدات شخص ما صحيحة؟



من السهل دائماً أن تعتقد أن معتقداتك «طبيعية» عندما تكون ثقافية فحسب.. ومن ثم فقد غير السوفسطائيون موضوع البحث الفلسفي من محاولة الإجابة عن السؤال الكبير إلى أسئلة أخرى مختلفة عن الموجودات البشرية ومجتمعاتها.

بروتاجوراس السوفسطائى:

يذهب بروتاجوراس الى القول بأن «الانسان مقياس الأشياء جميعاً» - وهو قول يعنى أنه لا توجد حقائق موضوعية، بل حقائق مرتبطة بالمعتقدات البشرية فحسب. وهذا القول يجعله فيلسوفاً نسبياً تماماً بل حتى من فلاسفة ما بعد الحداثة. وهو يزعم أيضاً أن الفلسفة ليست أكثر من فن الخطابة أو فن الاقناع اللغوى (أن تكون لديك مهارة تفيدك فى النقاش) وأن تعليم هذه المهارة لتلاميذه قد جعلهم «رجالاً صالحين».



كان سقراط رجلاً صغيراً ضئيلاً دميماً أفضس الأنف، وكان والده نحاساً وأمه قابله. كما كانت زوجته «اكزاتيب» تبيع الخضروات، وكثيراً ما تجرد زوجها غامضاً على نحو يثير الغيظ والحنق. لكنه كان - بوضوح - معلماً من النوع الكارزمى (الساحر للجماهير) لكثير من الشباب الأثينى، ربما لأنه كان يعلمهم أن يسألوا عن كل شيء، وهى عادة غريبة أثارت بغير شك حفيظة آبائهم.

الحوار السقراطي :

كان سقراط يدعى باستمرار أنه لا يعرف شيئاً، وهذا هو السبب في أن كاهنة دلفي قالت عنه أنه «أحكم الناس في بلاد اليونان». وكان يشجع تلاميذه على مناقشة الأفكار، ليريهم عادة، كيف يصعب العثور على أجابات مقنعة عن الأسئلة الفلسفية . وهذه الريبة التي كان يثيرها «الحوار السقراطي» في عقول الناس ربما تفسر اللقب الذي أطلق عليه وهو «ذباة الخيل»^(١).



ولا أحد يعرف ما اذا كان يؤمن أصلاً أن الحوار الفلسفي يمكن أن يكشف عن الحقائق المطلقة بالنسبة لمفاهيم مثل «العدالة» حتى يمكن عندئذ تطبيقها على المشكلات الأخلاقية والسياسية. وكان إيمانه الأساسي هو أن الحكمة الأخلاقية الحقة تكمن في الذات، وأن «الفضيلة علم».

(١) هذا اللقب - ذباة الخيل - هو الذي أطلقه سقراط على نفسه في الواقع. يقول في محاوراة الدفاع ..

انا ذباة الخيل التي أرسلها الله لتقض مضاجع الأثينيين». (الترجم)

الحكم بالموت :

ولسوء الطالع كان لسقراط بعض الأصدقاء المشبهين من أمثال «كريتياس» الذي حكم بطريقة منظمة على كثير من الأثينيين بالموت، لأنهم لم يوافقوا على حكم «الطغاة الثلاثين»^(١). وعندما أطيح بهم فى النهاية، انتقمت منهم محكمة الديقراطيين، وأصبحت «ذباة الخيل» مذنبه بتهمة عدم التقوى وإفساد الشباب الأثينى، وحكمت عليه بالموت. فتجرع السم، بشجاعة، بعد أن شرح معتقداته لأصدقائه وتلاميذه^(٢).



ولقد ظل سقراط شخصية غامضة - رجلاً له مذاق سيء فى التحالفات السياسية ومع ذلك ظل على الدوام يدافع عن استقلال الفكر ضد أخلاقيات الدولة، لكنه غير الفلسفة فأصبحت المشكلات الفلسفية الآن تدور حول السياسة البشرية كالأخلاق. لا عن الطبيعة الجوهرية للعالم المادى.

(١) حكومة أثينية تتألف من ثلاثين عضواً - من بينهم كريتياس - فرضتها اسبرطة بعد هزيمة عدوتها أثينا، وقد ظلت تحكم لمدة عام، ثم أطيح بها فى النهاية، وعادت الديمقراطية من جديد إلى أثينا (المترجم)
(٢) شرح هذه المعتقدات لتلاميذه فى محاورة «فيدون» التى تصور الأيام الأخيرة لسقراط قبل تنفيذ حكم الإعدام بتجرع السم. وقد ترجم هذه المحاوره مع عدة محاورات أخرى الدكتور زكى نجيب محمود بعنوان «محاورات أفلاطون» (المترجم)

أفلاطون .. والملوك الفلاسفة :

كان أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م.) واحداً من تلامذة سقراط، لكنه على خلاف أستاذه، سلطوى بطريقة غريزية (١). فقد كان أرستقراطياً أثينياً يكره الديمقراطية التي حكمت بالإعدام على سقراط.

عندما راقبت ذلك كله
انسحبت وأنا أتقرز من سوء
استخدام السلطة في
تلك الأيام.



لقد اعتقد ان رفاقه من الأثينيين قد أصبحوا على درجة من الطراوة والتدهور، فمجدد الاسبرطية العسكرية القاسية، التي حافظت على الانتصار في جميع الحروب التي خاضتها. وأصبح أخيراً معلماً لابن ديونسيوس الأول طاغية صقلية وهو تلميذ منفر للغاية. ثم عاد إلى أثينا ليؤسس أكاديميته. وكان أشهر كتبه محاوره «الجمهورية» التي هي النسخة المفضلة للمجتمع الكامل المنسجم الذي يحكمه حكام من الفلاسفة الحكماء.

(١) المقصود هنا إشارة إلى نظام «الجمهورية» الطوبارية التي وضعها أفلاطون حيث يخضع الفرد تماماً للدولة، فكان أفلاطون بذلك من أنصار ضرب من الحكم يقرب من الحكم الشمولى أو السلطوى (الترجم).

النظرية الفطرية :

أثرى أفلاطون الحوار السقراطي عندما كتب فلسفته في هذا الشكل. وأبدى أفلاطون في كتاباته المبكرة احتراماً للنظرية الفطرية (Innatism) - وهي النظرية التي تقول إننا جميعاً نولد مزودين بأنواع معينة من المعرفة. وبرهن على ذلك بسؤال عبد صبي يملكه صديقه «مينون».



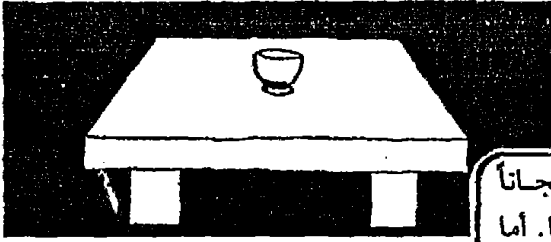
وتفسيره لذلك هو أننا جميعاً نملك أنفساً خالدة كان لها وجود سابق، ومن هنا فإن كل تعليم هو في الواقع مجرد «تذكر» أو «استرجاع».

الصور المثالية :

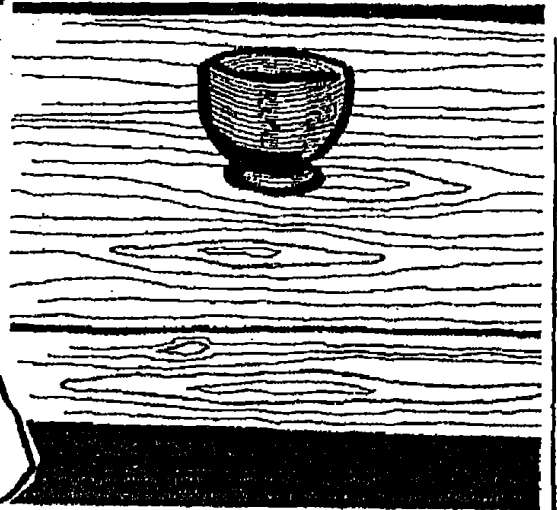
هذه النظرة «التذكيرية» للمعرفة ساعدت أفلاطون في أن يكون رجلاً له «عالمين» فعلى الرغم من أن هناك العالم اليومي الواضح المؤلف الذي نستطيع جميعاً أن نراه، فإن هناك أيضاً عالماً آخر هو عالم «المثل» الكاملة الأزلية. والمثل (أو الصور) هي أشبه بالقوالب الكاملة، ومن هنا فإن الأشياء الجزئية مثل المقاعد التي نراها جميعاً في العالم هي مجرد نسخ دنيا من صورة (أو مثال) المقعد المثالية الخالصة. وقلة من الناس الموهوبين المدربين الذين يسميهم أفلاطون «بالحراس» هم الذين يستطيعون «رؤية» هذه الصور المثالية. وليس كل إنسان يوافق على ذلك.



استطيع أن أرى منضدة وفنجانا
لكن لا أستطيع أن أرى مثلاً
للمنضدة أو الفنجان.



بالضبط لكي ترى منضدة وفنجاناً
فأنت في حاجة إلى عينين وأنت تملكهما. أما
لكي ترى مثال المنضدة والفنجان فأنت تحتاج
إلى عقل وأنت لا تملكه !!



أسطورة الكهف :

ويفسر أفلاطون نظريته بأسطورة أو حكاية خرافية. أن الناس العاديين يشبهون السجناء المقيدون على الدوام في كهف مظلم، ومضطرين لمشاهدة ظلال دمية متحركة يظنونها حقيقية.



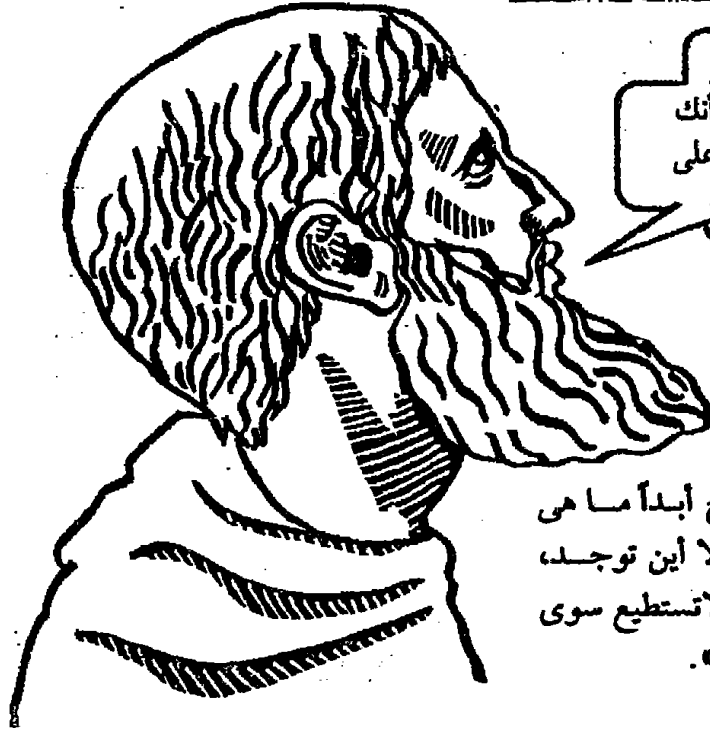
نحن نشبه هؤلاء السجناء مغروس فينا منذ الميلاد أن تجريرة الحياة اليومية هي كل ما هناك !!



غير أن سجيناً متمرداً هرب إلى ضوء النهار، وسرعان ما اكتشف أن هناك عالماً أفضل، وأكثر حقيقة في الخارج.

وبالمثل : فإن شخصاً دُرّب على مهارات ذهنية كالرياضيات، سوف يكتشف في النهاية أن هناك عالماً أفضل وأكثر حقيقة هو عالم الصور (أو المثل) يجاوز تجربة الحياة اليومية. أمثال هؤلاء الأفراد سوف يرون ويعرفون، أخيراً، «الحير ذاته». ويصبحون الحكماء من معدن الذهب المعصومين من الخطأ في مجتمع يتألف من أفراد من معادن الفضة، والحديد والنحاس الذين لن يناقشوا النظام أبداً - في هذه الجمهورية - وإذا أراد أحد أن يعرف شيئاً فما عليه إلا أن يسأل «الحراس».

ويبدو أن أفلاطون في كتبه المتأخرة، كانت لديه بعض الشكوك حول المثل وكيفية ارتباطها بموضوعات الحياة اليومية في العالم أو «الجزئيات» ومذهب أفلاطون من المذاهب «المغلقة» فإذا ما قبلت ما يقوله عن المعرفة، فإن عليك عندئذ أن تقبل نظرياته السياسية والأخلاقية. ويبدو أن أفلاطون كان يعتقد أن المعرفة كلها يمكن أن تكون دائمة وثابتة ومتحررة من المادة مثل الرياضيات - مع أن ذلك غير ممكن. ومن المحتمل أنه «فتن» كذلك بالخاصية التي كانت شائعة عند اليونان القداماء والتي تذهب إلى أنه إذا ما عرفت شيئاً ما، فإنك تستطيع أن تخبره على نحو مباشر.



إذا عرفت ما هو
«الجمال» فذلك يعني أنك
التقيت به وجهاً لوجه على
أنه «مثال» للجمال.

لكن ليس من الواضح أبداً ما هي
«المثل» أو الصور، ولا أين توجد،
وماذا تشبه، ولا لماذا لا تستطيع سوى
قلّة من الخبراء أن تراها.

خبراء الفلسفة :

تشجع فلسفة أفلاطون الأجيال القادمة من الفلاسفة للإيمان بأن وظيفتهم هي اكتشاف الأنواع الخاصة من المعرفة «السرية» و«المثالية» التي تكمن خلف سطح الحياة اليومية. وفلسفته السياسية هي أيضاً - بالقوة - تشجيع خطير لخلق «يوتوبيا» يحكمها نخبة سلطوية متفوقة. ونحن نعرف ما الذي يقود إليه هذا النوع من التجارب.



أرسطو المُعلِّم :

عندما كان أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.) في الثامنة عشرة من عمره ذهب إلى أثينا قادماً من مقدونيا ليدرس في أكاديمية أفلاطون. ومن الواضح أنه أحب أن يظل طالباً في هذه الأكاديمية لأنه بقي فيها زهاء عشرين عاماً. وعندما توفي أفلاطون ترك أرسطو أثينا، وتزوج ، وعاد إلى بلده في مقدونيا.



أرسطو عاد في النهاية إلى أثينا، وأسس جامعته الخاصة المسماة «باللوقيون». لكنه كان عليه أن يغادر أثينا عندما مات الإسكندر وذلك لأن الاستعماريين المقدونيين أصبحوا فجأة مكروهين إلى أقصى حد وأخيراً مات في المنفى في «أيوبيا» عام ٣٢٢ ق.م. وطلب في وصيته إعتاق عبيده على الرغم من أنه ذهب من قبل إلى أن هؤلاء الناس المأسورين هم عبيد «بالطبيعة».

منطق استنباطي أم قياسي ؟

كتب أرسطو ما يقرب من أربعمئة كتاب، تقريباً، في كل شيء دب من الحيوانات
الرخوة إلى الأنفس الخالدة.



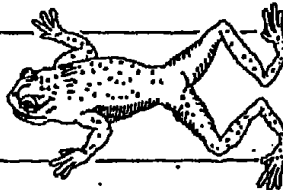
كل الضفادع تستطيع العوم (مقدمة)



هذه ضفدعة (مقدمة)



إذن تستطيع العوم (نتيجة)



وهناك بنية أخرى عن الأقيسة يمكن إنتاجها من قضايا مثل «لا ضفدع» و«بعض الضفادع» ولو أن برهانك اتبع بعض القواعد البسيطة (مثل عدم السماح بشيء في النتيجة أكثر مما يكون في المقدمتين) فسوف يكون عندئذ سليماً . وإذا ما كانت المقدمتان صحيحتين كان برهانك صحيحاً، وعندئذ سوف تكون النتيجة مضمونة.



المنطق أداة قوية ، إلا أن أرسطو لم يكن أبداً واضحاً بالنسبة لما يخبرك به المنطق على وجه الدقة - أهو العالم نفسه، أو الذهن البشري، أو كيف تعمل اللغة .

الاستقراء والعلم :

لم يكن أرسطو مقتنعاً أبداً بنظرية أفلاطون الغريبة عن الصور المثالية، ولقد كان يعتقد أيضاً أن العالم مصنوع من «الصور» لكن هذه الصور ليست سوى أنواع طبيعية، ومهمة العالم هي اكتشاف هذه الأنواع، واكتشاف خصائصها. وذلك هو أحد الأسباب التي جعلت أرسطو يعترف بأهمية الاستقراء، فعن طريق ملاحظة أن الضفادع الجزئية نعو، نستطيع أن نقوم بتخمين المعلومة التي نقول: إن جميع الضفادع قادرة على العوم.



هذه الضفادع
تستطيع العوم.

إذن جميع الضفادع تستطيع العوم ..



إننا عن طريق قدرتنا على التعميم من الضفادع الجزئية إلى الأنواع، فإننا نستطيع أن نبدأ في إقامة العلم. إذ نستطيع أن نستخدم التعميمات الاستقرائية عن الأنواع لنستنبط النتيجة عن الضفدع الفرد، وذلك يعطى العلم القدرة على التنبؤ.

جميع الضفادع
تستطيع العوم ..
هذه ضفدعة
إذن فهي
تستطيع العوم.



العلل الغائية :

كان أرسطو يعتقد أن الأشياء الفردية هي وحدها الموجودة ، وليس «الصور» ، وأن لكل شيء عللاً «غائية» أو وظيفة بالقوة، وهكذا نجد أن النار هي القوة المستمرة القادرة على التحرك إلى أعلى، وتحريك الموضوعات الثقيلة لتسقط إلى أسفل. أما الأشياء الأخرى كالنبات، والحيوان، والموجودات البشرية فلها وظائف أخرى أكثر تعقيداً.



ولأن كل شيء وكل
حادثة له علّة، فإننا إذا ما
تعقبناها إلى بداية الزمان،
لوجدنا أنه لايد أن يكون
هناك علّة أولى محرّكة لها.

وهذا التفسير الدائري والفارغ إلى حد ما،
عن السبب الذي يجعل الأشياء على ما هي
عليه يسمى بالتفسير الغائي، فالأمر كما لو
كانت «العلّة» عبارة عن «جاذب» داخلي
غامض أو غرض نهائي، وليست «دافعاً»
خارجياً منفصلاً.

العلماء والفلاسفة المحدثون أقل ثقة فيما
يتعلق بالتنبؤ بماذا تكون عليه العلّة الغائية
لكل شيء. بل إنهم أصبحوا أكثر شكاً فيما
إذا كان هناك مثل هذه العلّة الغائية، وذلك
بفضل المعتقدات التطورية عند دارون.



شيء قريب جداً
من الإله الخالق.

الأنفس .. والجواهر :

كان لأرسطو أيضاً رأى في السؤال الكبير، فلم يقبل القول بأن الموضوعات المادية هي فقط نسخ دنيا من الصور أو المثل الأزلية. فعند أرسطو أن كل شيء مصنوع من جواهر فريدة، ذات خصائص جوهرية أو عرضية. أما الخصائص الجوهرية فهي التي تعرف شيئاً ما.



وهذه المشكلة الفلسفية الخاصة «بالجواهر» استمرت تزعج الفلاسفة في الألفين وخمسمائة سنة التالية. ويقول أرسطو أيضاً: إن الأنفس هي مبدأ كل الحياة البيولوجية. فالنبات له نفس نباتية هي التي تجعله ينمو، وللحيوان نفس حيوانية هي التي تزوده بالإحساس، أما الموجودات البشرية فلها النفسين معاً، بالإضافة إلى العقل. وعلى خلاف الأنفس الفيثاغورية والأفلاطونية، فإن النفس الأرسطية لاتزودنا، بأي ضمان للخلود.

أخلاق الاعتدال :

كان أفلاطون يعتقد أن الأخلاق ينبغي أن تترك للخبراء المعصومين من الخطأ، بينما اعتقد أرسطو أن الأخلاق هي أشبه ما تكون بنوع من المهارة العلمية التي يكتسبها معظم الراشدين عن طريق التجربة. فالآباء يدرّبون نسلهم ليكون سلوكهم نحو غيرهم من الأطفال والراشدين سلوكاً أخلاقياً، ثم يتعلمون كيف يكونوا معقولين ومعتدلين في معاملاتهم مع الآخرين. فالموجودات البشرية حيوانات اجتماعية مبرمجة؛ لتعيش معاً في انسجام حتى ولو كانت أخلاقهم بحاجة إلى أن تدرّب بانتظام، باختيار «الوسط» بين حدّين أقصيين.



وهكذا تكون الأخلاق عند أرسطو ضرباً من «تحقيق الذات» أكثر منها أخلاقاً بما هي كذلك.

إضفاء اللوم :

ويذهب أرسطو إلى أن سقراط أخطأ في اعتقاده أن «الفضيلة علم».



قد تبدو الأخلاق عند أرسطو واضحة وجامدة، غير أن «نظريته الأخلاقية» يمكن أن تكون صحيحة، فرمما كانت الأخلاق ينبغي أن تدور حول إنتاج أناس خيروا الأخلاق أكثر مما تدور حول ابتكار مذاهب أو قواعد أخلاقية «خالصة».

لكن هل للموجودات البشرية هذه الوظائف أو الفضائل «الأخلاقية». وقد تكون وظيفتنا أن نعمل بلا رحمة كأفراد.

الأحلام الأفلاطونية، والواقعية الأرسطية :

لقد جعل سقراط، وأفلاطون، وأرسطو الفلسفة الغربية تقوم على أساس راسخ. ولقد ذهب الفيلسوف أ. ن. وايتهد (١٨٦١ - ١٩٤٧) في عبارة شهيرة إلى أن الفلسفة الغربية بأسرها ليست أكثر من «حواشي على أفلاطون..»^(١). لقد طرح أفلاطون جميع الأسئلة الصحيحة التي لا يزال الفلاسفة يبحثون عن إجابات عنها ولقد قيل أيضاً - بصفة عامة - إن الفلاسفة منذ ذلك التاريخ قد ساروا في واحد من الاتجاهين :



يسمى الاتجاه الأفلاطوني إلى الوصول إلى حقائق سرية مطلقة مخزنة عن طريق استخدام العقول.

أما الاتجاه الأرسطي فهو منهجي حذر ولا يبتغ إلا على ما تزودنا به الحواس الخمس.

(١) في ظني أن العبارة قيلت عن محاوراة الجمهورية وهي «ليست الفلسفة الغربية كلها سوى هوامش على جمهورية أفلاطون» المترجم.

فترة فاصلة : تاريخ موجز :

دولة المدينة اليونانية المستقلة ابتلعها في النهاية إمبراطورية الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م.) تلميذ أرسطو الذي اكتسحت فتوحاته فارس ومصر وامتدت حتى حدود الهند. وهكذا بدأ العصر الهلنستي (٣٢٣ - ٣٢٧ ق.م.) (١) عندما انتشرت الثقافة اليونانية

بطول البحر المتوسط، ثم اقتسم قادة الاسكندر داخل البلدان التي فتحوها وحكموها (وكانت واحدة من

نسل هؤلاء هي كليوبطرة (٦٩ - ٣٠ ق.م.) ملكة مصر (٢) إلى أن

أنهت الإمبراطورية الرومانية حكمهم.



- (١) منذ غزو الاسكندر الأكبر للشرق بدأت ثقافة جديدة وحضارة جديدة في الظهور، هي مزيج من ثقافة اليونان وثقافة الشرق القديم وسميت باسم «العصر الهلنستي» ولا يُستخدم هذا المصطلح أبداً إلا بعد وفاة الاسكندر (الترجم).
- (٢) بعد وفاة الاسكندر تقاسم قواده «التركة» المتمثلة في الإمبراطورية اليونانية المترامية الأطراف، فكانت آسيا من نصيب سلبيكوس Seleucus وعاصمتها أنطاكيا، وكانت اليونان من نصيب القائد أنتيجونوس Antigonos. أما مصر فكانت من نصيب القائد بطليموس، ومن هنا بدأ فيها حكم البطالسة الذي انتهى بكليوبطرة (آخر ملكة للبطالسة) وكان حينها لأططونيو شو الذي أدى إلى دخول الرومان وانتهاء الفترة اليونانية (الترجم)

الأبيقوريون : « ازرع حديقتك » :

تناثرت الفلسفة الهلنستية إلى مدارس مختلفة متأثرة بالنموذج الأرسطي في «الحياة الطيبة» ، الذى لم يعد بعد الآن يعنى أن تكون مواطناً شريفاً أو نبيلاً فى دولة المدنية الصغيرة، بل بقاء المرء فى نظام إمبراطورى ضخم كثيراً ما ينهار.

لقد ذهب أبيقور (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م.) إلى أن الفرد لا يحتاج إلى سكينه الذهن وسلامته ليكون سعيداً. ويوصفه من أتباع ديمقريطس فقد أكد أنه لا شيء يخيف فى الموت

إنه ببساطة : ذوبان أنفسنا

وأجسامنا وتحولها

إلى ذرات.



لا يمكن تحقيق الرضا الشخصى إلا عن طريق الانسحاب من العالم البغيض، الذى كثيراً ما يكون عنيفاً وهو عالم السياسة، وهذا هو السبب فى أن الأبيقوريين يعرفون أحياناً بفلاسفة «الحديقة».

الرواقيون :

ذهب الرواقيون إلى أن الطريق المؤدى إلى حياة طيبة هو الإيمان بالعقل وحده. وعدم الثقة في الانفعالات البشرية؛ لأن المشاعر، في النهاية، تجعلنا باستمرار تعساء.



ارفض الكبرياء
البشرى، واحذر إقامة
علاقات انفعالية مع
الآخرين.

الكون عندنا هو نفسه
عقلى ، حتى ولو كانت
الحياة البشرية
الاجتماعية والسياسية
مجنونة وقاسية.



كانت الرواقية أعظم فلسفة مؤثرة في
الأمبراطورية الرومانية، فقد جذبت
أفراداً من طبقات اجتماعية مختلفة
مثل العبيد، فكان منها العبد
ايبكتيوس (٥٥-١٣٥ ميلادية) ،
والأمبراطور ماركس أوريليوس
(١٢١-١٨٠ ميلادية).

ولقد أعاد الفيلسوف المعاصر «مارثا
نوسبوم» اكتشاف المنجم الثرى في
النظرية الأخلاقية والسياسة للرواقية
عند «شيشرون» (١٠٦-٤٣ ق.م.)
وسينكا (٤ ق.م. - ٦٥ ميلادية)
وماركس أوريليوس الذى شارك في
المثل العليا للمواطنة العالمية والمساواة
العالمية.

الشكاك والكلبية :

لقد بحث الشكاك أيضاً عن الحياة الطيبة، لكن الحل الذي قدموه كان أشدّ عجباً، لقد ابتكر «بيرون» (٣٦٠ - ٢٧٢ ق.م.) المذهب الشككي وعلم الناس أنه ليس من الحكمة الإيمان بأى شيء، وسار مع هذا الاعتقاد إلى حدوده القصوى بأن مشى قريباً من حافة الجبل، وفي مواجهة الخيل. إلى أن مات في سن متقدمة. أما ديوجنز الكلبي (٤١٢-٣٢٢ ق.م.) فقد كان فوضوياً تماماً، يعيش في برميل، كما كان فظاً مع كل فرد آخر حتى مع الإسكندر الأكبر (١).



ليس ثمة ما يدعو الى التمرد
لأن كل فرد هو بالفعل حر (٢)

الرواقية تجلب السعادة، لأنك
عندما تفلح عن المعتقدات
الدجماطيقية فسوف تتحرر
من القلق.

سكستوس امبريقوس
(٢٠٠ ميلادية)

لقد اشار سكستوس - مثل
هيراقليطس - إلى أن المعرفة
كلها نسبية، ومن ثم فلا
قيمة لها، ولا شيء يمكن في
النهاية البرهنة عليه. (فأى
برهان يحتاج هو نفسه إلى
البرهنة عليه.. وهكذا إلى ما
لا نهائية). والواقع أن
الشكاك في النهاية يخدعون
. فهم باستمرار
دجماطيقون بالنسبة
لنظريتهم الأساسية وهي
النسبية.

(١) كانت المدرسة الكلية تتألف من مجموعة من الفلاسفة تأثروا بزهد سقراط (ولهذا أطلق عليهم لقب صغار السقراطية على اعتبار أن أفلاطون هو السقراطي الكبير) وكانوا يشترطون للانضمام إلى زميرتهم العزوف عن خيرات الدنيا. واختلف المؤرخون في تسميتهم فقال قوم: إنهم كانوا يجتمعون في مكان اسمه «الكلب السريع» وقال آخرون لأنهم كانوا يعيشون كما يعيش الكلب أو لأنهم حراس الفضيلة ينبحون على الرذيلة كما ينبح الكلب الحارس عند الخطر (الترجم).

(٢) كان ديوجنز يعيش في الشوارع وينام في صناديق القمامة ويسخر من جميع الناس وكثيراً ما يحمل مصباحاً ليبحث عن الحقيقة في ضوء النهار. والتقى به الإسكندر وهو ينام على الأرض مستمتعاً بأشعة الشمس، ولما طلب منه أن يتمنى قال: أتمنى ألا تحجب عني ضوء الشمس!! (الترجم).

تاريخ موجز مرة أخرى :

كثيراً ما يقال: إنَّ الامبراطورية الرومانية انهارت في القرن الخامس الميلادي، ومع ذلك ظلت روما نفسها بعد ذلك مركزاً هاماً للكنيسة المسيحية. وتأسس النصف الشرقي من الامبراطورية الرومانية - أو البيزنطية - في مدينة القسطنطينية عاصمة له عام ٢٩٣ ميلادية، وظل قائماً حتى سقط على يد الأتراك عام ١٤٥٣. وازدهرت الحضارة العربية في ظل الإسلام من القرن السابع الميلادي، وانتشرت عبر شمال إفريقيا إلى أسبانيا.

لقد حافظنا على الفلسفة اليونانية والعلم، إلى أن أعاد الغرب اكتشافهما عندما خرج من عصر الظلمات.

العصر - ما بعد العصر الروماني في أوروبا - بما فيه من قبائل بدوية غازية، وانهيار حضاري، لم يكن عصراً جيداً للفلسفة الغربية



قدوم المسيحية :

كان الأمبراطور قسطنطين (٢٨٥ - ٣٣٧ ميلادية) أول أمبراطور روماني يعتنق المسيحية، وجعلها الديانة الرسمية للامبراطورية حوالي عام ٣٢٠ ميلادية. وهكذا بدأت قوة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في الظهور التي فرضت ثقافتها الشاملة في جميع أنحاء أوروبا الغربية. ولقد احتكرت الكنيسة جميع أشكال التفكير الفلسفي وأحبطت، بهمة ونشاط، أية آراء مستقلة أو معتدلة.



كان القراء والمفكرون
جميعاً من رجال
الدين وعلماء
الكنيسة.

وتحولت الفلسفة

إلى لاهوت يتشغل بمشكلات
دينية عن الطبيعة ووجود الله.

لقد حاول بعض الفلاسفة من أمثال
أفلوطين (٢٠٤ - ٢٧٠ ميلادية) أن
يقوموا بتوفيق صعب بين نظرية
الكنيسة المبكرة وأعمال أفلاطون.



آباء الكنيسة :

يُعرف الفلاسفة «الرئيسيون» في هذه الفترة باسم «آباء الكنيسة» الذين أقاموا وأوضحوا النظريات المركزية والمعتقدات المركبة في الكنيسة. وهم يحسبون «فلاسفة» لأنهم كانوا يعتقدون أن الله وهب العقل للموجودات البشرية ليحاجوا ويناقشوا المشكلات اللاهوتية فهناك في الاعتقاد المسيحي ما هو أكبر من الخرافة العمياء.

وأحد هؤلاء الآباء الذي كان يصرّ باستمرار على السلطة المطلقة للكنيسة هو القديس أوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠) ولقد ولد في شمال إفريقيا وكتب «اعترافاته» الشهيرة عن خطاياها في فترة الشباب.



مشكلة الشر:

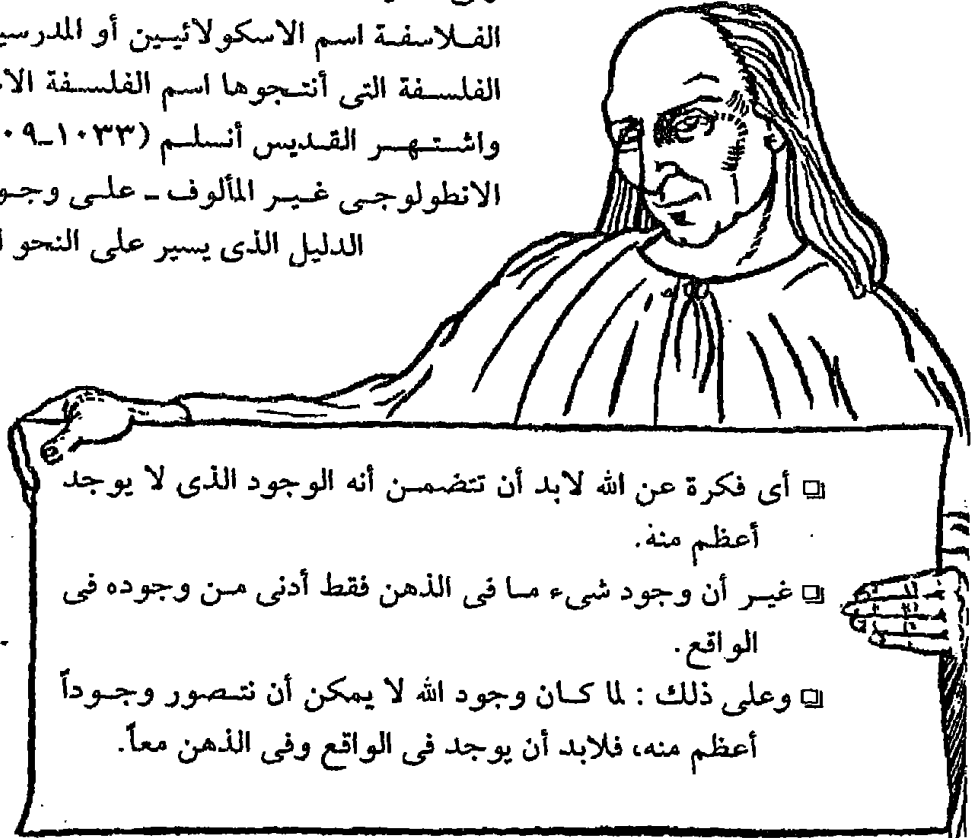
ذهب أوغسطين إلى أننا نحن أنفسنا سبب الشر وليس الله. وما كان من الممكن أن تظهر مشكلة الشر لو أن الله خلق آلات ذاتية الحركة مبرمجة على «الخير» بدلاً من الموجودات البشرية. لكنه - بكرم منه - خلقنا أحراراً، وأفراداً حركتهم ذاتية.



وانتهى أوغسطين إلى أن الله يعرف باستمرار الخيارات التي نقدم عليها، لكنه يحجم عن التدخل. كما انبهر أوغسطين أيضاً بالدليل الغائي على وجود الله. وتلك هي نظرية العلة الغائية أو الغرض الغائي: فالعالم جميل، ومنظم تنظيماً تاماً، وكل جزء فيه يشير إلى إله خالق يوجد خارج الزمان.

دليل القديس أنسلم :

وفي القرن الحادى عشر أطلق على اللاهوتيين من الفلاسفة اسم الاسكولائيين أو المدرسين، وعلى الفلسفة التى أنتجوها اسم الفلسفة الاسكولائية. واشتهر القديس أنسلم (١٠٣٣-١١٠٩) بدليله الانطولوجى غير المؤلف - على وجود الله. وهو الدليل الذى يسير على النحو التالى :



□ أى فكرة عن الله لا بد أن تتضمن أنه الوجود الذى لا يوجد أعظم منه.
□ غير أن وجود شيء ما فى الذهن فقط أدنى من وجوده فى الواقع.
□ وعلى ذلك : لما كان وجود الله لا يمكن أن تتصور وجوداً أعظم منه، فلا بد أن يوجد فى الواقع وفى الذهن معاً.

لقد كان القديس أنسلم يعتقد ، فيما يبدو، أنه إذا ما صاغ الكلمات صياغة صحيحة، فإنه يستطيع عندئذ أن يصل، بطريقة ما إلى برهان على وجود الله. أن الدليل الانطولوجى هو نوع من الألاعيب السحرية.

غير أن الأفكار عن الأشياء والأشياء نفسها أمران مختلفان من حيث الوجود.



الهوية أيلارد :

كان للاهوتى بطرس أيلارد (١٠٧٩-١١٤٤) علاقة غرامية بتلميذته «هلويز» (١) ويسببها أصبح خصياً، ودخلت الدير، وأنفقا البقية الباقية من حياتهما فى كتابة الرسائل الغرامية كل منهما إلى الآخر. ولقد توصل أيلارد إلى بعض الأفكار المثيرة للجدل عن طبيعة اللغة والعالم.



كلمات مثل «القط» و«المقعد» فى أى قاموس هى فى العادة أسماء فئات عن الأشياء أو «كليات». وكان أفلاطون يعتقد أن مثل هذه الكلمات تشير إلى «صور» أو مثل «إلهية خاصة». ويؤكد أيلارد أنه لا وجود لمثل هذه الكيانات فلا يوجد فى العالم سوى الجزئيات الفردية. ومن ثم فإن اللغة يمكن باستمرار أن تخدع الفلاسفة فتجعلهم يعتقدون فى أشياء غريبة لا وجود لها.

(١) أحب أيلارد تلميذته الصغيرة «هلويز» ذات السبعة عشر ربيعاً (وكان هو فى سن التاسعة والثلاثين) - وكانت العلاقة سرية فى البداية إلى أن حملت الفتاة ثم ولدت ابناً عندئذ قام أهلها بالانتقام من أيلارد فقطعوا أعضائه الجنسية وهو نائم! - قارن كتابنا «الفيلسوف المسيحى ... والمرأة» ص ١١-١٢ مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ (الترجم).

الأكوينى واللاهوت الطبيعى :

القديس توما الأكوينى (١٢٢٥-١٢٧٤) ابتكر دليلاً آخر على وجود الله يشبه دليلاً قال به أرسطو عن «المحرك الأول»، وهو الدليل الكسمولوجى الذى يشير إلى أن لكل شىء علة، ومن ثم فلا بد أن تكون هناك علة كبرى لكل شىء هى الله. كما كان توما الأكوينى يؤمن أيضاً «باللاهوت الطبيعى».



كانت تلك أنباء طيبة لعلماء العصور الوسطى؛ لأنها تعنى أن العلم ليس بالضرورة نشاطاً إلهادياً. وكانت نظرية الأكوينى تتضمن أيضاً أنه فى حالات نادرة يمكن الموافقة على عصيان القانون الدينوى، إذا ما اعتقدنا أنه يتعارض مع القانون الإلهى.

نصل أوكام :

تابع اللاهوتيون المتأخرون من أمثال وليم الأوكامى (١٢٨٥-١٣٤٩) الاهتمامات الإسكولائية فدرسوا مشكلات معقدة فى المنطق واللغة، والمعنى. وكان أوكام فيلسوفاً اسماً آخر، أشار إلى أن قدراً كبيراً من الفلسفة الأكاديمية ليس فى الحقيقة سوى فطيرة عن كيانات خيالية. كما ذهب إلى أن الحقائق العظيمة هى فى العادة بسيطة. ومن ثم فمن الحمق تفضيل الإجابات المعقدة عن إجابات أبسط. وهذا المبدأ يعرف باسم «نصل أوكام» وكان له تأثير كبير فى مجال العلم، وإن لم يكن له هذا التأثير - لسوء الطالع - فى مجال الفلسفة.

من الحمق أن تفعل الكثير
لشئء يمكن أن تفعله
بالأقل.

ينبغى أن تجعل كل
شئء بسيطاً بقدر الإمكان،
لكن ليس أبسط.

المذهب الإنساني في

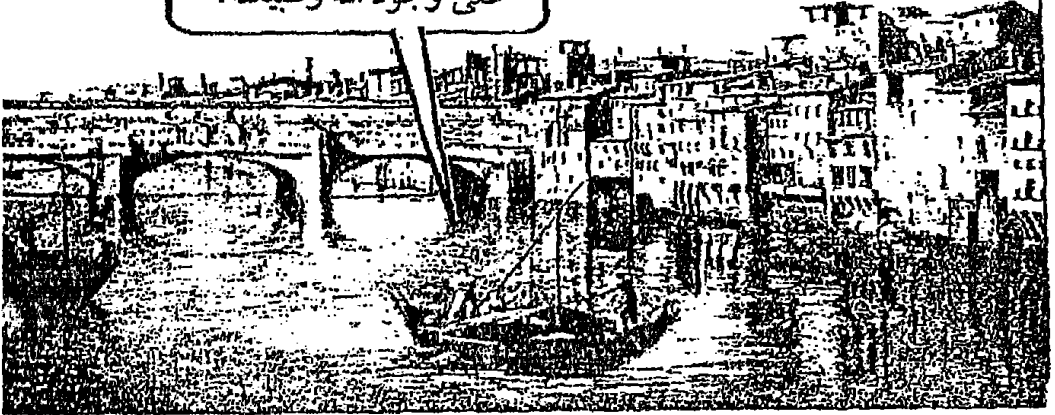
عصر النهضة :

بدأ الحدث الثقافي المعقد المعروف باسم عصر النهضة في شمال إيطاليا في القرن الرابع عشر وانتشر في جميع أنحاء أوروبا خلال القرنين التاليين.

المذهب الإنساني في عصر النهضة يعني أن الفلاسفة يستطيعون الآن التفكير في الأفكار والإنجازات البشرية.



ويركزون بدرجة أقل على وجود الله وطبيعته.



وبدأ المجتمع الإقطاعي ينقرض بالتدرج، وبدأت المدن تصبح أكثر أهمية، وشجع أعضاء الطبقة التجارية الحديثة - الأفكار الجديدة في الرياضيات، والعلم، والتكنولوجيا. من ناحية؛ لأن هذه الأشياء يمكن أن تجلب مالا. وكان التغيير العظيم الآخر هو الإصلاح الديني الذي سمح للفلاسفة الذين يعيشون في بلدان بروتستانتية أن يسألوا أسئلة أكثر راديكالية عن العلم، والسياسة، والأخلاق.

إرازموس : الشكاك :

هناك فيلسوف ساعد ، بلا قصد، على بداية الإصلاح الديني البروتستانتي - هذا الفيلسوف هو إرازموس Erasmus (١٤٦٦ - ١٥٣٦) بكتابه «في الثناء على الحمق» لقد انتقد إرازموس بقسوة فساد الكنيسة الكاثوليكية . ولم يحمل أحداً محمل الجد، ولا الفلاسفة.



ولقد اعتقد أيضاً - مثل الشكاك من قبله - أن الحكمة البشرية ليست سوى وهم، ولا يمكن بلوغها.

المنظرون السياسيون :

سيطر أرسطو على معظم لاهوت العصور الوسطى وفلسفتها والعلم فيها، وبدأ علماء عصر النهضة يكتشفون أنه كثيراً ما يكون مخطئاً من الناحية النظرية. فالشمس لا تدور حول الأرض ، ولقد أصر أرسطو أيضاً على أن هدف كل نشاط سياسي هو انتاج مواطنين مستقيمين أخلاقياً. هناك فيلسوفان سياسيان من فلاسفة عصر النهضة اعتقدا أنه كان مخطئاً في هذا أيضاً.

نيسقولا مكيافالى (١٤٦٩ - ١٥٢٧) لاحظ سلوك حكام عصر النهضة في إيطاليا القاسى الذى يخلو من كل مبدأ، واستنتج من ذلك أن السياسة هى بالضرورة لعبة قذرة من الغش والخداع. وذهب فى كتابه «الأمير» إلى أن الأخلاق والسياسة لا يجتمعان.



كثيراً ما يكون مطلوباً من الحاكم الناجح أن يغش ،
ويكذب ، وينكث بالوعد. بل حتى أن يقتل.

لقد كان مكيافالى منظرأ سياسياً أكثر منه فيلسوفاً حقيقياً. لكن ملاحظاته الدقيقة عن السياسة العملية أقامت مبادئ المجتمع المدنى الدنىوى الحديث.



ويعطينا الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩) تفسيراً تشاؤمياً عن الطبيعة البشرية في كتابه «اللويثان»^(١) وقد افتتن بالصراحة الاستنباطية للهندسة، فاعتقد أن البرهان المنطقي يمكن استخدامه لانتاج فلسفة سياسية. ويسمى رأيه في الطبيعة البشرية أحياناً باسم «مذهب الأنانية السيكلوجية»، وهو مذهب آلي وساخر بطريقة عميقة.

الموجودات البشرية أنانية
وقاسية بالغريزة، ومن ثم
فأى محاولة لجعلها
موجودات أخلاقية هي
مضيعة للوقت.

إننا إذا ما تركناهم لرغباتهم في «حالة طبيعية، فلا مندوحة عن أن يقتل كل منهم الآخر. وسرعان ما تصبح الحياة لكل منهم «فقيرة، وكريهة، وموحشة، ووحشية، وقصيرة».

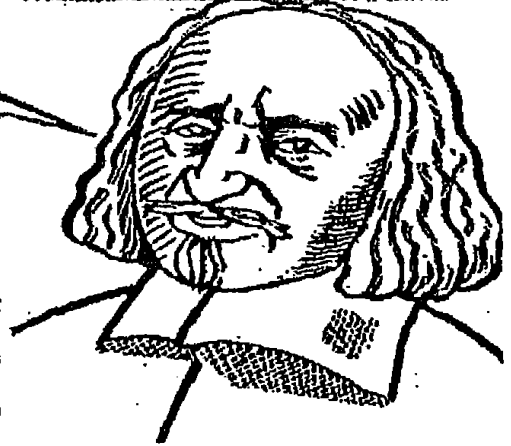
(١) اللويثان أو التينين كلمة عبرية تعنى الملتوى أو الملتف، وقد وردت كثيراً في أسفار العهد القديم لاسيما سفر أيوب بمعنى الحيوان المائي الضخم الذي يلتهم جميع الحيوانات الأخرى - ويقصد بها هوبز سيطرة الدولة على جميع رعاياها (المترجم).

نظرية العقد الاجتماعي:

ويعتقد هوبز أن الأفراد الأنانيين لكي يهربوا من أن يقتلوا في فراشهم، فإنهم يقومون بمحاولة يائسة، للدخول في «عقد اجتماعي» بعضهم مع البعض الآخر. غير أن العقد بين أفراد قساة لا بد بالضرورة أن يدعمه عقد ثان «لنظام الحكم» يسمح للحكومة بمعاينة أولئك الذين يتهكون العقد الأول.



الحكومات ذات السيادة مسألة حيوية للمحافظة على الحياة البشرية، والقيم المتحضرة. أما الأخلاق فهي ليست سوى اتفاق ساخر بين أوغاد (١)



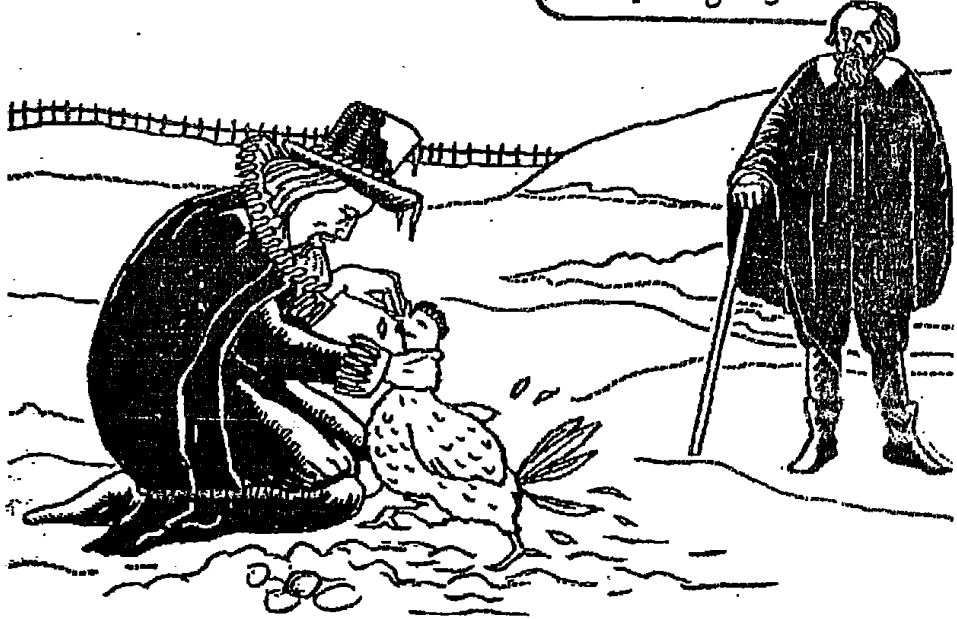
الأخلاق هي نفسها طاعة القانون . وليس ذلك تفسيراً بشع لنا كجنس بشري لكن هوبز، على الأقل، يشجع اهتماماً جديداً بالطبيعة البشرية، واعتقاداً بأن الحكومات ليس لها الحق في أن تحكم الناس إلا عن طريق العقد.

(١) الأنانية السيكولوجية التي تفسر الأخلاق عند هوبز ليست سوى تفسير واحد - وقد أشاعه بصفة خاصة الفيلسوف الإنجليزي جوزيف بطلر - عن الأخلاق عند هوبز. وهناك تفسيرات أخرى كثيرة بعضها يقارن بين الأخلاق عند هوبز والأخلاق عند كانط، راجع كتابنا «توماس هوبز فيلسوف العقلانية». (المترجم).

فلسفة العلم عند بيكون :
 كان فرانسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) نفسه سياسياً إنجليزياً حاذقاً، لكنه كفيلسوف كان أشد اهتماماً بالعلوم الجديدة، وما نستطيع إيجازه، فقد كان أول من قال «المعرفة قوة» ولم يتم هو نفسه برأيه مكتشفات علمية، لكنه اهتم اهتماماً فلسفياً بالمناهج العلمية الجديدة للملاحظة التجريبية، وبعملية التجريب، والاستقراء التي يستخدمها العلماء من أمثال جاليليو (١٥٦٤ - ١٦٤٢)، وقد كان بيكون متشككاً جداً بالنسبة لنظرية أرسطو في «العلل الغائية».



العلل هي كلها
 موضوعات وعمليات فزيقية
 مادية تخضع للقوانين التي يستطيع
 الناس من أصحاب الحس
 العادي اكتشافها باستخدام
 الوسائل العلمية.



كانت هوايته المفضلة البحث العلمي، وفي النهاية قتل هذا البحث العلمي. فقد مات بالتهاب رئوي بسبب اعتياده الخروج في فصل الشتاء القارص لكي يحنط دجاجة عن طريق الثلج، فقد أراد أن يعرف ما إذا كان الجو أبرد يحافظ عليها.

أصول الفلسفة الحديثة :

يقال عادة إن الفلسفة الحديثة تبدأ بـ «رينيه ديكارت» (١٥٩٦ - ١٦٥٠) الفيلسوف وعالم الرياضيات الفرنسي الذي أصرّ على استقلال إرادته الفردية ورفض قبول الإجابات الفلسفية المعتدلة. ولقد بحث الأعمال الداخلية للعقل من حيث علاقاتها بالعالم الخارجى وقد شدد على الفرق بين الإدراك الحسى والتفكير.

وكان منهجه فى الشك النسقى يعتمد على الاستبطان والسيرة الذاتية، لكنه كان أيضاً موضوعياً ومنطقياً بإصرار.



أعجب ديكارت إعجاباً شديداً بما تستطيع الرياضيات إنجازه فى علوم مثل علم الفلك. وكتب معظم مؤلفاته فى جو هولندا البروتستانتية الهادئ المتسامح.

الشك العلمى :

كان كتاب ديكارت «مقال عن المنهج» (عام ١٦٣٧) يسعى إلى اكتشاف نوع جديد من المعرفة العلمية باتباع بضعة قواعد إجرائية بسيطة. وفى كتابه «تأملات فى الفلسفة الأولى» (عام ١٦٤١) تساءل عما إذا كان نوع المعرفة التى نستطيع أن نصل إليها يمكن أن يكون يقينياً. ولقد وجد، باتباع وسيلة الشك المنهج الجذرى، أنه يستطيع أن يهدم معتقداته فى كل شىء.



حتى أفكاره المجردة يمكن أن تكون خطأ أو وهماً، فقد يكون هناك شيطان غير مرئى يوسوس له بالظن أنه فى حالة يقظة، وأنه يقوم بعمليات رياضية دقيقة فى الوقت الذى يكون فيه نائماً.

أنا أفكر ، إذن ، أنا موجود :

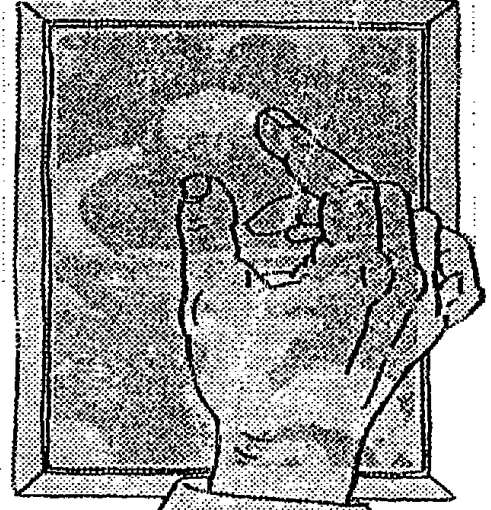
الشك الديكارتي تصاعدي ولا يرحم، فقد ذهب ديكارت إلى أنه ليس ثمة معرفة يمكن أن تكون مضمونة. فهو لا يستطيع حتى أن يتأكد أن جسمه حقيقي، لكنه يستطيع أن يكون على يقين من أن أفكاره موجودة، والشك ضرب من التفكير، ومن ثم فإن محاولة الشك في أنك تفكر محاولة يائسة. وبهذا الاستبصار اكتشف ديكارت «الكوجيتو Cogito الشهير (١).



(١) كلمة الكوجيتو Cogito هي اختصار للعبارة اللاتينية الشهيرة «أنا أفكر، إذن، أنا موجود .. (الترجم).

الأفكار الواضحة والمتميزة :

اعتقد ديكارت أن الله لا بد أن يضمن التفكير العقلي المجرد كالأفكار الواضحة والمتميزة مثل الكوجيتو الأصلي نفسه. وهذا يعني أن تفكيرنا الرياضي «الواضح» عن العالم لا بد أن يكون صحيحاً، لكن تجاربنا الحسية عنه هي كلها ذاتية ومعيبة .



إننا نستطيع أن نكون على يقين من حجم البرتقالة ووزنها، لكننا لا نكون على يقين من لونها ومذاقها ورائحتها.

وهكذا فإن النزعة الشكلية عند ديكارت هي ضرب من اللعبة الفلسفية التي يستخدمها لأقامة ضروب من المعرفة اليقينية. هناك مشكلات عديدة تواجه الطريق الذاتي عند ديكارت للوصول إلى يقين ذاتي أو شخصي، إذ يبدو غريباً أن نقول: إن حواسنا تخدعنا، إننا نعرف فحسب أن العصا المكسورة في الماء مستقيمة؛ لأن أعيننا تخبرنا بذلك. ويبدو غريباً أيضاً أن نقول إننا نعتمد على الله كضامن لليقين الرياضي.

تراث ديكارت :

يبدو تفكير ديكارت الانعزالي، خاصاً، ولا يمكن تجنبه لكنه لا يزال مؤلفاً من كلمات مع مجموعة من قواعد النحو وخلقها تاريخ ثقافي كامل. وربما كان أي مطلب إنساني عن يقين موضوعي غير إنساني تماماً هو نفسه مطلب يصعب تصوره. ولا يزال الفضل يرجع إلى ديكارت في أن الفلاسفة المتأخرين ارتبكوا في مجموعة كاملة من الاسئلة ...



كما زودتنا فلسفة ديكارت أيضاً باحترام جديد للاعتقاد بأن المعرفة الحقة لا يمكن أن تستمد من مصدر آخر غير العقل، مع تأكيد مصاحب أن المعرفة التجريبية من الدرجة الثانية؛ وهكذا أثار النقاش الفلسفي الذي استمر خلال المائة سنة التالية وأكثر.

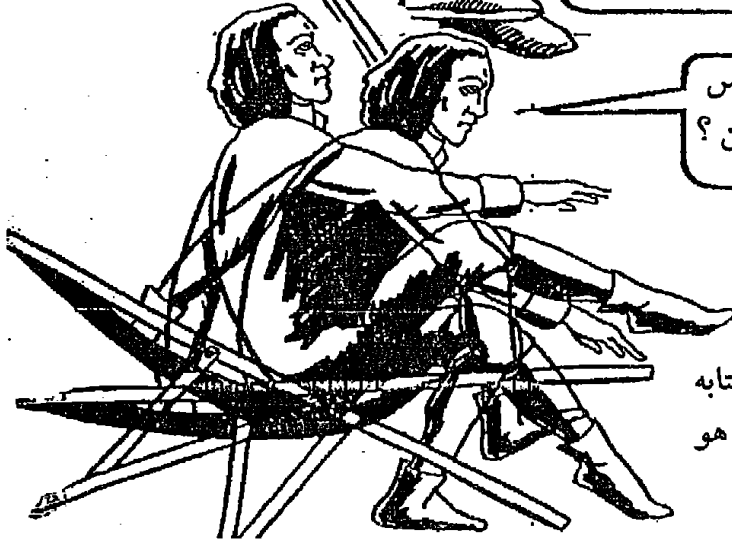
أسئلة اسبنوزا :

باروخ اسبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧)
فيلسوف هولندي يهودى الأصل، عاش مثل
ديكارت حياة منعزلة. وهو بوصفه فيلسوفاً
حراً فقد طرد من جماعته اليهودية. وكان
يكسب قوته من صقل العدسات، وهى مهنة
اضرت فى النهاية برشته ثم قضت عليه.



ولقد حيرت اسبنوزا مشكلة «الجوهر»، فإذا كان
هناك كما ذهب ديكارت جوهران من الجواهر
المكتملة بذاتها تماماً - الجوهر الذهنى والجوهر المادى
- فكيف يمكن لهما أن يؤثر أحدهما
فى الآخر!!

كيف يمكن للقرار
العقلى أن يدفع شيئاً
مادياً؟



وكيف يمكن للإحساس
المادى أن يؤثر فى الذهن؟

وكان جواب اسبنوزا فى كتابه
«الأخلاق» (عام ١٦٧٧) هو
رفض ثنائية ديكارت.

واحدية اسبنوزا :

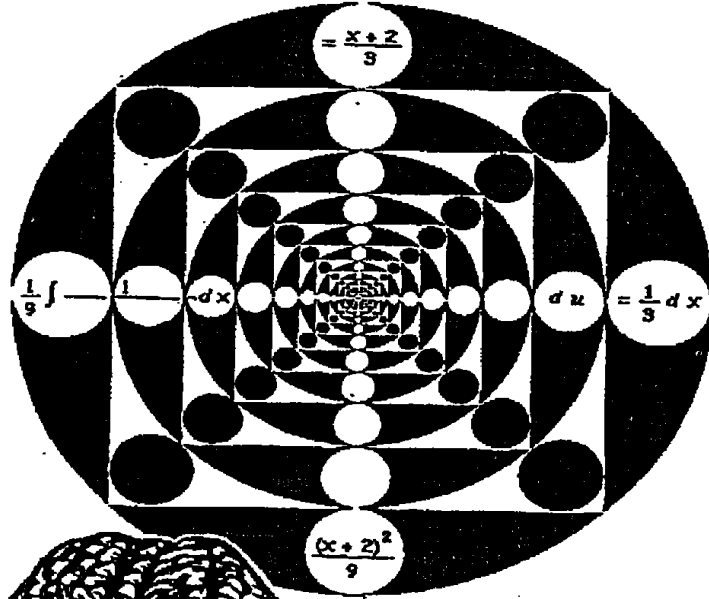
استخدم اسبنوزا منهج الهندسة الاستنباطي لسبرهنة على أنه لا يوجد سوى جوهر واحد هو الله، الذي يوجد فيه كل شيء آخر بوصفه حالاً Mode. وبعبارة أخرى هناك نسق واحد للقوانين العلمية يمكن أن نستنبط منه كل شيء في الطبيعة. ونحن لا نعرف سوى صفتين لا متناهيتين عن الله هما : الفكر (العقل) والإمتداد (الجسم) لكنهما معاً حالات للوجود وهما شيء واحد يعبر عنهما بطرق مختلفة. وأى موضوع (حال الامتداد) متحد مع حال الفكر في هوية واحدة، مثلما يكون ذهن للجسم البشري. هل يعنى ذلك أن الحجر «يفكر» ؟



ويشدد اسبنوزا على المنطق في اللاهوت، ومن ثم فالنظرية العلمية عنده تتفق بأسرها مع كل ما هو هام في الكتاب المقدس. ولقد اختلطت «واحديته» خطأ مع مذهب وحدة الوجود التي تقول : إن الله هو كل شيء وهي التي أثرت كثيراً في الرومانسيين الإنجليز والألمان.

ليبنتز والمونودولوجيا :

كان جوتفريد فلهلم ليبنتز (١٦٤٦ - ١٧١٦) فيلسوفاً، وعالم رياضات، ورجل سياسة على نحو لا يصدق. ولقد أرسى - في منافسه مع سير إسحق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) أسس حساب التفاضل والتفاضل في بحثه عن «جبر الاستدلال». ولقد انتقد كل من ديكارته واسبنوزا مقدماً مذهبه الميتافيزيقي المعقد في المونودولوجيا عام ١٧١٤. التصور المركزي عند ليبنتز هو أن فكر الله يتضمن لا نهائية العوالم الممكنة، لكنه يحقق فقط أفضل هذه العوالم. وما يحدد العالم «الأفضل» هو الحد الأدنى من العلل (القوانين أو الوسائل) والحد الأقصى من النتائج (الحالات أو النهايات).



عالمنا هو أفضل
العوالم الممكنة لأنه نسق من
المونادات على أعلى درجة من
الاتساق.

ما الذي يعنيه ليبنتز بلفظ
«الموناد» ؟

- عليك أن تتخيل الموناد على أنه الجوهر الفرد ...
- ١- الذي يتضمن كل تصور متسق معه ولا يتضمن تصوراً آخر.
 - ٢- ليس له أجزاء بل «أعراض» للكيفيات الذهنية والميل.
 - ٣- ليس ثمة علاقة سببية بين المونادات لكن العلاقة بين حالاتها فحسب.
 - ٤- كل موناد هو عالم صغير قائم بذاته يعكس العالم الكبير كله.
 - ٥- هذا العالم الممكن موجود، لأن الله خلقه بضرورة أخلاقية وليس بضرورة مادية فزيقية.



يُعرف ليبنتز بأنه «أرسطو العالم الحديث» لأنه حاول تقديم آخر نظرية ضخمة لتوحيد الفلسفة الاسكولائية والعقلانية العلمية الجديدة. كما كان ليبنتز يتجادل بشدة مع «نيوتن» بشأن نظريته عن المكان والزمان التي تقول: إنهما مطلقان ولا متناهيان.

المكان في عالم الموناد نسبي، ويرتبط بالوضع الفردي الذي توجد فيه الأشياء، كما يرتبط الزمان بحالاتها المتتالية.

فولتير ... وعصر التنوير :

أخرج «ليبنز» نموذجاً ميتافيزيقياً متقناً ليصف البنية الأساسية للكون ... لكن هل هذا النموذج صحيح ؟ وكيف يمكن للمرء أن يقرر ما إذا كان صحيحاً أم لا ؟ ذلك يكشف عن ضعف رئيسي في فلسفته، وفي فلسفة اسبنوزا العقليتين. لقد كانت نظرة ليبنز عن «أفضل العوالم الممكنة» مسرفة في التفاؤل وهذا ما سخر منه فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) في قصته «كانديد» عام ١٧٥٩. لقد كان فولتير بطلاً عظيماً من أبطال عصر التنوير، عصر الراديكالية الاجتماعية، والثقة الجديدة في قوى العقل في مقابل المعتقدات، والخرافة، والطغيان ...



اشترك فولتير مع الموسوعي متعدد القدرات -
دنيس ديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤) في جعل
الرواد الإنجليز العظام للمذهب التجريبي
بيكون، ونيوتن، ولوك - أكثر شعبية.

لوك والتجريبية البريطانية :

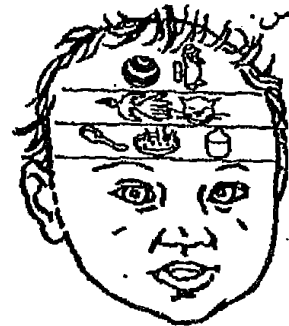
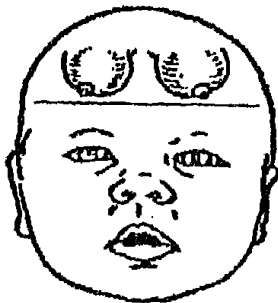
تبنى «جون لوك» (١٦٣٢ - ١٧٠٤) الكثير من أفكار ديكارت عن الذهن والإدراك الحسى، كما كان أيضاً مؤسساً للمذهب التجريبي الذي كان يؤكد أن المعرفة البشرية الأساسية لا بد أن تأتي عن طريق الحواس، ولقد ذهب أيضاً إلى أن النظرية الأفلاطونية - والديكارتية. عن الأفكار النظرية سخيصة ولا معنى لها، وأن معظم الميتافيزيقا لغو فارغ.

ساعة الميلاد،
يكون الذهن البشرى
فارغاً أو مجرد «صفحة بيضاء»، وهو
لا يستطيع أن يكتسب المعرفة الأساسية
عن العالم إلا عن طريق الحواس.



بعد هذه العملية المبدئية
فإنه يمكن تصنيف
التجارب وتخزينها
في الذاكرة.

عندئذ فقط يمكن للذهن أن يبدأ في تجميع أفكاره الجديدة، وأن يفكر مستقلاً عن



لقد وافق لوك ديكرارت على أن تجربتنا بالعالم تكون باستمرار غير مباشرة. فكل ما تنجزه أذهاننا بالفعل هو تمثلات أو تصورات ذهنية. وهى تعنى أننا لا نستطيع أن تكون لنا معرفة مباشرة «بالجوهر» الذى صنع منه العالم. كما وافق لوك أيضاً على أن تجربتنا بشيء ما كالبرتقالة مثلاً، هى تجربة مشوشة.



فالصفات «الأولية» للشيء
كالحجم والوزن هى «فى»
البرتقالة وهى موضوعية
ويمكن قياسها علمياً.

أما صفاته الثانوية كاللون،
والرائحة والطعم، فليست
سوى النتائج التى يحدثها
الشيء على أعضاء الحس
وهى لذلك ذاتية ونسبية.

العالم عند لوك هو مكان أحادى اللون،
وبلا رائحة، نخبره نحن - الموجودات
البشرية - ملوناً بطريقة فريدة وعلى نحو
فيه رائحة. وإذا ما كنا على ظهر كوكب
آخر، ومزودين بأعضاء للحس مختلفة،
لظل البرتقال عندئذ مستديراً، لكن ربما
تغيرت صفاته الثانوية تماماً. إلا أن لوك
لم يشك أبداً أن هناك عالماً خارجياً
«موجود هناك فى الخارج» يسبب لنا هذه
التجارب الذهنية.

مثالية باركلي :

حوّل الأسقف باركلي (١٦٨٥ - ١٧٥٣) فلسفة لوك التجريبية إلى فلسفة أكثر ميثافيزيقية - تُعرف عادة باسم المثالية. فأمسك بالجوانب اللامنطقية في تفرقة لوك بين الصفات الأولية والصفات الثانوية، مبرهنأ على أنك لا تستطيع الفصل بينهما. فليس من الممكن التمييز بين حجم الشيء كصفة أولية وبين لونه كصفة ثانوية. فلماذا إذن نفترض أن بعض التجارب «حقيقية» وواقعية في حين أن بعضها الآخر «ذهني» فحسب؟ وانتهى باركلي إلى أن جميع تجاربنا هي تجارب ذهنية يسببها الله، وأن تجارب الحياة اليومية ليست سوى وهم هائل. وصاغ ذلك في عبارته الشهيرة «الوجود هو الإدراك (Esse est percipi)» فأن يكون الشيء موجوداً، يعني أن يكون مدركاً. ولحسن الطالع فإن الله يجعل الأوهام متماسكة ومتسقة، لدرجة أن تجاربنا تصل إلينا على شكل «حزم».



وأحد مضامين ذلك هو أن الأشياء عندما لا تكون مدركة فإنها لا تُعدُّ موجودة. وهى فكرة يصعب جداً الإيمان بها، غير أن الفلاسفة كانوا مغرمين بها، لأنه يستحيل دحضها فيما يبدو. إذ كيف يمكن لنا أن نتسلق خارج حواسنا لكي ندحض ما يقوله باركلى؟



ومع ذلك فالنظرية المثالية (التي تقول: إن «الأفكار» هى وحدها الموجودة) عرضة لنصل أوكام - فافتراض أن العالم الخارجى هو فى الواقع الذى يسبب تجاربنا، بدلاً من إله مشغول إلى أقصى حد، سوف يكون تفسيراً أبسط.



هيوم ونزعة الشك التجريبي :

كان ديفيد هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦) الشخصية الرئيسية في الفلسفة الأسكتلندية في عصر التنوير، يعرف الفلاسفات الفرنسية الرائدة، كما كان ملحداً ينتقد بقسوة حجج اللاهوت التقليدي التي تزعم «البرهنة» على وجود الله، كما كان أيضاً بوصفه فيلسوفاً تجريبياً ملتزماً - شاكاً إلى أقصى حد فيما يقرره الفلاسفة العقليون عن قوى العقل البشري ومداها. وهو مثل باركلي - كسرة ضئيلة من فيلسوف. لأن كثيراً من أفكاره كانت فنية لكنها هامة للفلسفة الحديثة.

يعترف هيوم بضعف الاستقراء كمصدر للمعرفة معارضاً التجريبيين من أمثال بيكون الذي اعتقد أن الاستقراء هو أساس يعتمد عليه في العلم كله.

إذا كان جميع البجع الذي

لاحظته ملاحظة شخصية، أبيض اللون، فإن من المحتمل جداً - من الناحية العلمية - أن يكون جميع البجع في العالم أبيض اللون، إلى أن تزور استراليا وترى بجعاً أسود، فماذا يحدث عندئذ ؟

ويشير هيوم فحسب إلى أن جميع المكتشفات العلمية التي تقوم على الملاحظة والاستقراء لا بد أن تظل تخمينية ومؤقتة. فالاستقراء لا يمكن أبداً أن يقدم لك اليقين الذي يقدمه المنطق.

مشكلة السببية :

كان هيوم أول فيلسوف يوضح ما هي السببية ؟ ففلاسفة العصور الوسطى من أمثال القديس توما الأكويني كان لديهم إيمان راسخ في يقين السببية - فهي تبرهن على وجود الله. ولقد حلل هيوم مفهوم «السبب»، ووجد أنه، في الواقع، ليس أكثر من إيمان بشري يقوم على أساس التجارب الماضية. فكل إنسان يميل إلى الاعتقاد بأن لكل حادثة سبباً.



إننا نؤمن أن هناك باستمرار سبب للآلة التي تعطل وللنبات الذي ينمو، وللكواكب التي تدور حول الشمس. وهذه كلها معتقدات سليمة تماماً، لكننا مع ذلك معتقدات فحسب ...».

فهي كلها تقوم على أساس استقرار ملاحظتنا للآلات، والنباتات، والكواكب - في الماضي. لكن لا شيء منها له أي يقين منطقي.

ويعتقد هيوم أيضاً أنه ليس من الممكن البرهنة على المعتقدات الأخلاقية، فمفهوم «الشر» ليس شيئاً يمكن رؤيته. إنك تستطيع أن تبرهن على وقائع مثل «سقراط فان» بشرط أن تعرف أن جميع البشر فانون، وأن سقراط إنسان.

الشك الأخلاقي :



تسمى وجهة نظر هيوم في فلسفة الأخلاق، أحياناً، «بالمذهب الذاتي» وذلك يعني الإيمان بأن القضايا الأخلاقية مثل «هتلر كان شراً» تشير فحسب إلى مشاعر ذاتية لشخص ما (فهى تعنى : «أنتى لا أحب هتلر»).

ويعتقد هيوم أنه لا توجد بالفعل معتقدات بشرية يمكن «البرهنة» عليها. وأن العقل قد بولغ جداً فى تقديره. وعلى الرغم من أنه كان فيلسوفاً راديكالياً، فقد كانت له معتقدات شخصية محافظة أدت به إلى القول بأن الموجودات البشرية يمكن فقط أن تكون راضية لو أنها اعتمدت على المشاعر الطبيعية بين بعضها البعض، واحترمت جميع التقاليد الاجتماعية.

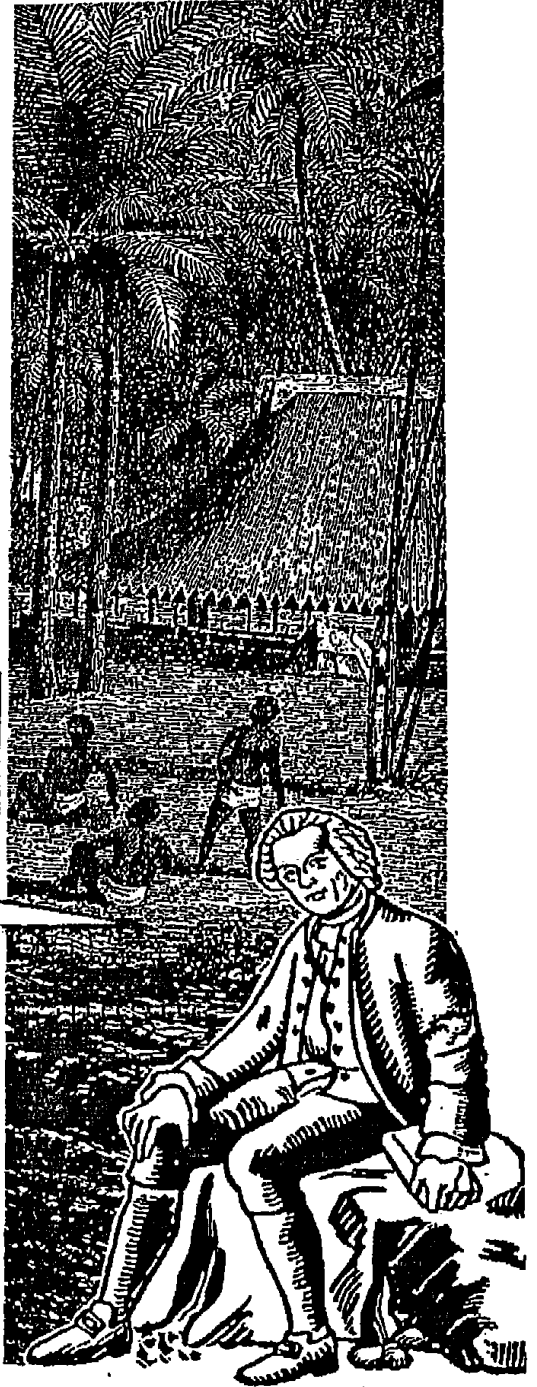
ولقد كان لدى هيوم أيضاً شكوك مزعجة حول وجود النفس أو الذات، بسبب عدم إمكان اكتشافها «... إننى إذا ما أوغلت داخلاً إلى ما أسميه «نفسى»، وجدتنى دائماً أعرى على هذا الإدراك الجزئى أو ذلك، لكنى لا أستطيع أبداً أن أمسك بـ «نفسى» فى أى وقت بغير إدراك ما ...».

روسو وحالة البراءة البدائية :

كان فولتير معجباً كثيراً بكتابات «لوك» السياسية عن «الحقوق الطبيعية». فقد أكد لوك أن للأفراد بعض الحقوق التي لا يمكن التنازل عنها مثل : حق الملكية، وحق الحرية : حرية الكلام وحرية العبادة بل حتى حق التمرد ضد الحكومات والقوانين الظالمة. لكن كان جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) الفيلسوف السويسري الرومانسى هو أعظم مفكر سياسى من حيث التأثير فى نهاية القرن الثامن عشر. وقد رفض روسو نظرية هوبز فى أن الطبيعة البشرية شريرة بالفطرة.

كانت حياة الموجودات البشرية الطبيعية فيما قبل الحضارة حياة الرضا والقناعة والأريحية وحب الغير. لكن عندما ظهرت الابتكارات الإنسانية العظيمة للحضارة والملكية الخاصة - إنهار كل شىء.

إن الحاجات الصناعية تثير ألواناً من الجشع الصناعى. وهذا هو السبب - فى رأيه - فى أن الموجودات التى تسبق التنشئة الاجتماعية كالأطفال وقبائل الهمج هم أسمى من الناحية الأخلاقية. إن أسطورة «العودة إلى الطبيعة» هى التى أثرت فى الحركة الثقافية المعروفة باسم الرومانسية.



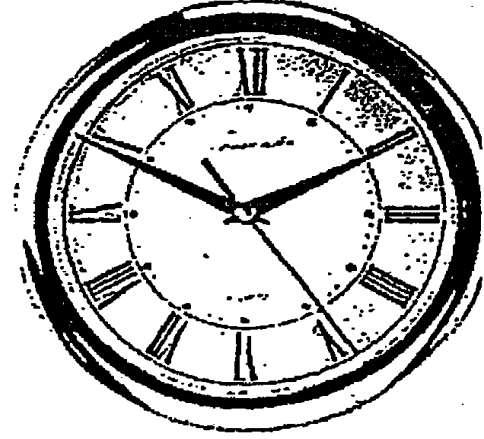
الإرادة العامة :

ويعتقد روسو - على نحو ينذر بالخطر أكثر - أن قوانين المجتمع ينبغي أن تكون تعبيراً عن «الإرادة العامة» التي هي دائماً على صواب. وليس من الواضح كيف نقرر ذلك، ومتى يمكن أن يفرض بالقوة ولسوء الطالع فإن المواقف الثورية تفرز باستمرار مثالين ليس لديهم رحمة وانتهازيين على استعداد لأن يعلنوا أنفسهم كتجسيدات شخصية لهذا الكيان المجرد الذي يفرضونه عنوة على الآخرين.



استجابة كانط لهيوم :

كان إمانويل كانط (١٧٢٤-١٨٠٤) أعزب شديد الدقة في عاداته المنتظمة لدرجة أن مواطني مدينة كونيجسبرج كانوا يضبطون ساعاتهم على نزهاته اليومية الروتينية. وكان خادمه الأمين «لامبه» يتجه دائماً وهو يحمل مظلة (مخسباً للجو). لقد قال كانط: «أن قراءته لهيوم هي التي أيقظته من سباته العقلي الدجماطيقي». لكنه كان يختلف مع هيوم في تقريره أننا نؤمن بالسيبية لأننا تعلمنا من تجارب الماضي التي عرفناها عن العالم.



كانت استجابتي هي الاعتراض على هيوم والقول بأن معرفتنا بالعالم لا يمكن أن تأتي عن طريق الملاحظة وحدها.



لقد قالوا :

إن البرفسور كان يحب صحة النساء الذكيات الجميلات.

نعم، وكان تلاميذه يستمتعون بمحاضراته التي يقال أنها كانت بالغة الصعوبة.

البشرية ترى «السيبية» في العالم، لأنها مركبة على هذا النحو. وكان أول فيلسوف يبين أنه لا العقلين ولا التجريبيين كانوا على حق تماماً.

البنية الذهنية تسبق التجربة :

بين كانط في كتابه «نقد العقل الخالص» عام ١٧٨١ كيف أن محاولات استخدام العقل لإقامة «حقائق» ميتافيزيقية تؤدي دائماً إلى متناقضات مستحيلة، ثم راح يدلل على كيفية اكتسابنا للمعرفة عن العالم. فالذهن البشري إيجابي نشط وليس مستقبلاً بطريقة سلبية للمعلومات. إننا عندما ننظر إلى العالم فإننا «نكوّنه» لكي نجعله معقولاً. والواقع أن بعض المفاهيم التي نطبقها في تجربتنا الحاضرة قد أتت من تجاربنا الماضية، لكن المفاهيم الأكثر أهمية هي التي تسبق التجربة فهي قبلية Apriori أي قبل تجاربنا.



لقد ادعى هيوم أننا نبني بالتدريج جهازنا التصوري من تجاربنا. ويرد كانط قائلاً : إنه ما لم يكن لدينا ضرب من الجهاز التصوري الذهني نبدأ به، فلن تكون التجارب ممكنة على الإطلاق. ومن هنا كان كانط مثالياً راقياً يقول : «الأفكار بدون مضمون فارغة، والحدوس بدون تصورات عمياء».

عالم الظاهر وعالم الشيء في ذاته :

وكل تجربة من تجاربنا لا بد أن تمر أساساً بصورتى «الزمان والمكان» ومن هنا فإن تجاربنا عن العالم هى إلى حد ما من خلقنا الخاص. فنحن ننظمها بأنفسنا، ومع ذلك فهناك حدود دقيقة لم نخبره وكيف نخبره. فليس فى استطاعتنا أن نختار «المادة» التى تزودنا بها أعضاء الحس عندنا، وليس فى استطاعتنا أن نغير الطريقة التى تستنبط بها عقولنا.



إن كل ما نستطيع أن نخبره هو «عالم الظاهر» الذى قد لا يشبه أبداً عالم الشيء فى ذاته الحقيقى. فإله وحده هو الذى يستطيع أن يرى ذلك لأنه غير مقيد بالزمان والمكان، وبقصور العقل البشرى.

ويتنهى كانط إلى أن العلم البشرى يدرس عالم «الظاهر» (أى الأشياء على نحو ما تظهر) ويظل الدين فى عالم الشيء ذاته الذى لا يمكن معرفته، (الأشياء على نحو ما هى عليه حقيقة) ومن ثم فليس ثمة ما يدعو العلم والدين إلى أن يصارع كل منهما الآخر أو يصطدم به. لكن إذا كان كل ما يمكن أن نخبره هو عالم الظاهر، فكيف يمكن لكانط أن يكون على هذا القدر من الثقة فى وجود عالم الشيء فى ذاته ؟

الأمر المطلق :

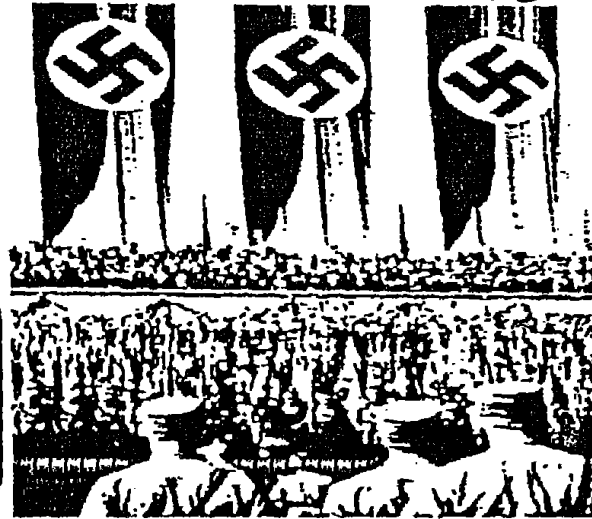
يزعم كانط أننا نستطيع - على خلاف الأشياء المادية - أن نفلت من سببية عالم الظاهر، إذ لا بد لنا أن تكون إرادتنا حرة في الاختيار حتى نكون موجودات أخلاقية : «ينبغي تتضمن يستطيع».

إذا أردنا أن نكون فضلاء، فلا بد لنا من تأدية الواجب وتجاهل الميول والرغبات. فالشخص الأخلاقي ليس هو مَنْ يفعل ما يأتي على نحو طبيعي ومألوف بل ما يتضمن صراعاً داخلياً مع الرغبات الشريرة. ونحن نستطيع باستخدام العقل أن نكتشف ما هو واجبنا - أعني إطاعة مجموعة من القواعد الملزمة : أو الأوامر المطلقة

وتسير القاعدة على النحو التالي
إذا قررنا الكذب، فإن علينا أن
نتخيل ماذا يمكن أن يحدث لو
أن كل إنسان راح يكذب.



فالكذب نفسه يمكن أن يكون عادياً ومفهوم
الصدق (بل الكذب نفسه) لا بد أن
يختفى. كما لا بد أن تختفى اللغة، والمنطق،
وكل ألوان الاتصال البشري في كابوس من
الفراغ اللامنتقي.



وهكذا نجد أن الكذب لا عقلي، ومن ثم فهو الخطأ. ويؤمن كانط بالله، ويعتقد أن الدين يمكن الناس العاديين من أن يجعلوا العالم الذي كثيراً ما يبدو غير أخلاقي - عالمًا معقولاً. لكن ربما كان في الأخلاق ما هو أكثر من الطاعة المستمرة لمجموعة من القواعد الأخلاقية الملزمة، بغض النظر عن الظروف الفردية. ويمكن أن نفكر في مناسبات قد يكون الكذب فيها سلوكاً أخلاقياً بالفعل (١).

(١) ربما يشير المؤلف إلى حالات «يكذب» فيها الأسير بحيث يضلل الأعداء عن مكان زملائه من الجنود أو عددهم أو قوتهم القتالية... إلخ. أو عندما تكذب على مجنون يجري بمسدس ليقتل شخصاً فتخبره بأنه سار في طريق مخالف للطريق الذي هرب فيه ... الخ وهو ما يسمى «بالكذب الأبيض» غير أن ذلك خطأ شائع فليس ذلك «كذباً» بل هو «تعليق» لفضيلة الصدق في سبيل غاية أخلاقية أعلى، هي المحافظة على حياة إنسان. راجع مقالنا «الكذب الأبيض» في كتابنا «أفكار ومواقف» مكتبة مدبولي، بالقاهرة عام ١٩٩٦ (الترجم).

جدل هيغل :

كان جورج فلهلم فردررش هيغل (١٧٧٠-١٨٣١) يؤمن بشقة مبالغ فيها أن فلسفته النسقية الفريدة لا بد أن تكشف عن الحقائق النهائية عن الواقع كله وعن التاريخ البشرى بأسره.

الفلسفة الهيجلية مذهب شامل بطريقة مثيرة كتب برطانة هيجلية مجردة جعلت من الصعب فهمه.

لقد كان الفلاسفة يعتقدون - قبل أن يظهر هيغل على المسرح - أن أرسطو اكتشف المنطق وأن ذلك حق.

غير أن هناك منطقاً آخر. فللمعرفة تاريخ تطوري مؤلف من تصورات ليست قضايا صادقة معزولة ولا قضايا كاذبة حقاً.

الأفكار تنمو، وتتحرك تدريجياً نحو إدراك أفضل للواقع في مسار يسميه هيغل بالجدل.



المنطق الجدلي :

التاريخ باسمرار صراع بين مفاهيم دينامية مختلفة تزعم أنها تصور الواقع بدقة. غير أن أى مفهوم أو قضية تسير ألياً ضده أو نقيضه ، يحدث بينهما صراع إلى أن يظهر مركب أعلى أكثر حقيقة فى نهاية الصراع.

هذا المفهوم الجديد سوف ينتج بدوره، نقيضه، وهكذا تستمر العملية بطريقة عنيدة لا ترحم حتى نصل أخيراً إلى «الفكرة المطلقة».

وهذا تفسير تطورى ودينى للحضارة وللروح البشرى، فهما معاً يسيران فى مراحل حتى يتحقق «الوعى المطلق»، والانسجام الاجتماعى. ويعتقد هيجل أن دراسة التاريخ سوف تكشف فى نهاية المطاف شيئاً شبيهاً بروح الله.



الوعي البشري والمعرفة :

وتدور الميتافيزيقا الهيجلية حول طبيعة الفكر ذاته. ويعتقد هيجل أن الفلسفة قد أصبح مركزها بالغ الضيق تدور حول أسئلة تقنية عن المعرفة، وعليها أن تنظر بعناية أكثر إلى المسار التاريخي للفكر البشري والثقافة التي أنتجته. لقد كان هيجل فيلسوفاً مثالياً مثل كانط، ولذلك فهو يتفق معه في أننا لا نخبر العالم أبداً على نحو مباشر من خلال الحواس، بل فقط بطريقة التأمل وهي تُصنّف عن طريق وعينا، ويذهب هيجل حتى إلى أبعد من ذلك.



تتركب الواقع الحقيقي
من الروح وهو من خلقه.
ليس هناك ما يسمى بعالم
الشيء في ذاته.

الوعي البشري نفسه لا يبقى ثابتاً أبداً بل هو يطور ويغير مقولات ومفاهيم جديدة، وهذه المقولات هي التي تحدد كيف نخبر العالم، وهكذا نجد أن المعرفة دائماً من حيث نسيجها، والنتيجة باستمرار هي مواقف متصارعة.

المعرفة النسبية والمطلقة :

أى تفسير فلسفى لما هو «موضوعى» كعمارض لما هو «ذاتى» هو تفسير مضلل. فلن يكون الفلاسفة قادرين أبداً على إنتاج شىء مثل «الحقيقة الفلسفية الكاملة»، لأن الأفكار بطبيعتها ذاتها دائمة التغير، والمعرفة هى عملية تاريخية وثقافية دينامية. فهى ليست نتاجاً لازمانياً قائماً «هناك فى الخارج» ينتظر من يكتشفه. وذلك يجعل هيجل كما لو كان نبياً لما بعد الحداثة، عندما يشدد على أنه لايمكن أن يكون هناك وقائع موضوعية ثابتة أو حقائق فى مسار جدل دائم التغير. لكنه كان يؤمن أن هذه العمليات الجدلية المتغيرة لا بد أن تتوجها مرحلة أخيرة تصل فيها الموجودات البشرية إلى المعرفة كما هى فعلاً. كان لدى هيجل أيضاً طريقة جديدة وعميقة فى التفكير عن الوعى الفردى والحرية الشخصية.

لا زالت الحرية الشخصية هى بالضرورة حرية «الموجودات الاجتماعية»، وقصة الحرية الفردية هى سلسلة من المراحل المتتالية.

وضعت المجتمعات الشرقية، والفارسية، واليونانية، والرومانية، حدوداً صارمة للحرية الشخصية، ويعتقد هيجل أن المجتمع الجرمانى المسيحى البروتستانتى قد وصل إلى مرحلة تحققت فيها الحرية والفردية الشخصية من خلال تفاعل حقيقى بين الأفراد ومجتمعهم.



الدولة ونهاية التاريخ :

نظر هيجل إلى دولته البروسية الأوتوقراطية على أنها ضرب من «الشخص الأعلى» الذي وصل إلى مرحلة نهائية من التطور، وهو ورفاقه من المواطنين كمجرد جزء صغير من هذا الكيان العضوي الأكبر يستمدون منه هويتهم ووضعهم الأخلاقي.



ما هو واقعي عقلي.



كان هيجل يؤمن، جاداً، أنه أكمل عمل كانط بإنتاجه لوجهة نظر المعرفة المطلقة التي يمكن منها أن تنتبأ «بنهاية التاريخ»، فلا بد لعملياته الجدلية الحتمية أن تنتهي عندما تنكشف في النهاية الروح الواحدة التي تقود الواقع والعقل البشري جميعاً. ولا بد أن يكون المسار الذي تسير فيه شاقاً والطريق وعراً؛ لأنه يتضمن صراعاً لا يتوقف بين القوى التاريخية الهائلة التي كثيراً ما تكون قاسية لترحم، ولا أحد ينكر أنه كانت هناك كثيراً من هذه الصراعات في أوروبا منذ عام ١٨٠٧ عندما نشر هيجل كتابه «ظاهريات الروح» لأول مرة، ويبدو الآن من المشكوك فيه ما إذا كان للتاريخ البشري «مصير» يمكن التنبؤ به. أو غرضاً هيجلياً نهائياً من أي نوع.

تصور شوبنهاور للإرادة :

هناك فيلسوف ألماني آخر معاد للنظريات والمناهج الهيجلية هو أرتور شوبنهاور (١٧٨٨-١٨٦٠) كان يعتقد أن إيمان هيجل بنهاية سعيدة للتاريخ البشري ليس سوى تشوشات «دجال أحمر غبي» وبوصفه مثالية آخر مقتنعا، كان أيضاً يتفق مع كانط على أن الموجودات البشرية لا يمكن إلا أن تعيش في عالم الظاهر، غير أنه عند شوبنهاور فإن عالم الظاهر هو عالم وهمي، تحكمه الإرادة باستمرار، فالإرادة توجه كل موجود حي بما في ذلك الموجودات البشرية.



وتمتد الموجدات البشرية إلى الإيمان بأن لحياتها الفردية نوعاً من المعنى الأعلى، لكن، ليس هناك في حياتها أكثر من الاندفاع نحو إشباع رغبات جديدة، ولا مندوحة للإرادات الفردية، إذن، من الدخول في صراع وهذا هو ما يجلب العذاب البشرى.



والطريقة الوحيدة للإفلات
من هذه الطاحونة هو وضع
حد للرغبة.

وإحدى الطرق لتحقيق ذلك هو الإفراط في النشاط الفنى أو التأمل. وهناك طريقة أخرى هي العيش حياة الزهد وإنكار الذات. وكان شوبنهاور أول فيلسوف غربى كبير يتأثر بالبوذية. لقد كان لأفكاره التى أهملت الآن تأثير كبير فى شخصيات مثل الموسيقار «ريتشارد فاغنر» (١٨١٣-١٨٨٣) والفيلسوف الألمانى نيتشه.

نيتشه : ضد المسيح :

على الرغم من أن فردريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) تربي كشخص لوثرى شأن غيره من كثير من الفلاسفة الألمان الآخرين، فإنه أصبح عدواً للمسيحية، رافضاً تماماً للمعتقدات من أى نوع فى عالم «متعالى» أو عالم الشيء فى ذاته.

مات الإله ونحن الذين
قتلناه ...

ولقد جعلته ثقافته كعالم لغة كلاسيكى، يرى عالم اليونان القديم أعلى من العالم المسيحى الحديث بما فيه من تعصب دينى وحماس للعذاب السلبى، والخطيئة، والإدانة، السرمدية. ولقد قبل عالمه اليونانى القديم النشاط الخلاق القدر ومجد واقعة أن العذاب البشرى يمكن أن ينتج حياة نبيلة وبأساوية فى آن معاً.



بمعزل عن الخير والشر :

لقد حاول نيتشه - كمعظم الفلاسفة قبله - إعادة تعريف الطبيعة البشرية، واعتقد أن من الخطأ التعميم بالنسبة للموجودات البشرية، لأن التعميم يردّها إلى «طبيعة مشتركة» زائفة، ولقد تنبأ أن الرأسمالية الحديثة والتقدم التكنولوجي لن ينتجا إلا عالماً برجوازيّاً من متوسطى القدرات «أناس من منزلة دنيا».

وأنا أريد موجودات
بشرية تصبح شيئاً أعلى ...
أنا أريد «الإنسان الأعلى».

إن الثقافة اليهودية المسيحية تفضل الضعفاء، والعاديين المبتدلين من البشر، في حين أن الإنسان الأعلى يحتاج إلى رفض «أخلاق القطيع» وينظر إلى ما وراء الأفكار التقليدية من الخير والشر متطوعاً إلى شيء أبعد، شيء خلاق من الناحية الفردية وأكثير راديكالية - إنه «إرادة القوة».

وعلى الرغم من أن آراء نيتشه عن الإنسان الأعلى لا علاقة لها بالطبيعة أو بالخصائص العنصرية - فإن من المؤكد أنها مرتبطة بنوع الجنس، فهو بغير شك من الذين يميزون بين المرأة والرجل.



التنبؤ بما بعد الحداثة :

النزعة الشككية الراديكالية عند نيتشه لا تقبل أن يكون هناك أي حقائق أخلاقية أو قواعد كلية تقوم على أساس «العقل» - بل الأحكام المبتسرة المعاصرة وحدها التي تلبى حاجات الناس. وكل معرفة تصورية تقوم على أساس التعميمات تحدها أنظمة الأيديولوجيات والتصنيفات، لا مندوحة لها عن أن تمحو الفردية والتفرد. ومعظم مزاعم «الحقائق» الأزلية ليست أكثر من معتقدات مفيدة مؤقتاً تتغير كلما سار التاريخ وتقدم.



ويتنبأ نيتشه بما بعد الحداثة، فهو يتنبأ بفلسفة من أمثال فجتشستين، وديريدا من حيث أنه كان أول من عمّد إلى تفكيك المعتقدات بوصفها شراكاً وفخاخاً لغوية (فنحن لن نتخلص أبداً من فكرة الله ما لم نتخلص من النحو). ونظريات فوكو عن المعرفة مدينة على نحو هائل، لأفكار نيتشه عن السلالات وإرادة القوة.

العود الأبدى :

يقترح نيتشه أيضاً «عالمًا مرحاً» عن العود الأبدى، وهي فكرة ذهب إليها بعض الفلاسفة السابقين على سقراط من أمثال هيراقليطس الذي كان يقول: إن الزمان دائري يكرر نفسه مرة بعد أخرى، ولقد كان ذلك هو نقد نيتشه البارع للأمر الأخلاقي المطلق عند كانط، ونظرة شوبنهاور المتشائمة عن الرغبة بوصفها سبباً للعذاب. والعود الأبدى هو المعيار الذي نحكم به على قيمة الحياة.

إذا كنت تعيش فعلاً
حياة طيبة الا تكون سعيداً
و أنها عادت من جديد مرة
ومرة أخرى

وبهذه الطريقة فإنه لا يحكم على الحياة عن طريق «نهايتها» كما تفعل المسيحية بل إيجابياً على أنها خيار الآن، وفي هذه اللحظة. وفكرة نيتشه عن الخيار الحاضر الذي يؤكد قيمة الوجود جعلته من المبشرين بالوجودية.



كيركجور : الوجودية المؤمنة :

الفيلسوف الدانماركى سرن كيركجور (١٨١٣-١٨٥٥) لا يوافق على وجهة نظر كانط فى أن الإيمان الدينى والأخلاقى يمكن تأسيسهما على العقل. فالإيمان لا معقول تماماً، وغير عقلى على الإطلاق. كما أنه عارض العمليات الجدلية الهيجلية التى يبدو أنها تبتلع الناس، وتتجاهل واقع احتياجاتهم لإصدار قرارات «أما ... أو» الفردية. لقد انشغل كيركجور بصفة رئيسية بمشكلة الوجود ، ولهذا عُرِفَ فلسفته بأنها المبشر بالوجودية. إن معظم الناس يتجاهلون فى العادة الأسئلة حول معنى حياتهم، ويفضلون الفرار إلى نوع من الروتين الغُفَل أو المجهول. وليست تلك حياة طيبة.



قفزة الإيمان :



وذلك يعنى عند كيركجور أن تصبح مسيحياً ملتزماً بأن تقوم «بقفزة الإيمان»، لأن المعتقدات الرئيسية فى المسيحية هى أيضاً لا يمكن معرفتها أساساً. وينتهى كيركجور إلى أنك إما أن تعيش حياة أخلاقية أو حياة جمالية (حسية) أو حياة دينية. ولقد فضل كيركجور الخيار الأخير.



ولقد تحققتُ أن ذلك
يعنى أن تعيش حياة «الخوف
والرعدة» فى علاقتى
الشخصية بالله.

ويصبح المرء مسيحياً فى مواجهة «الريبة الموضوعية» أنه لا برهان على وجود الله، وليس ذلك هو «العالم المسيخى العام» الذى انتقده كيركجور بقسوة فى مجتمعه اللوثرى، فأيمانه تهكمى، مزاحى، انفعالى، وهو يكتب كما يكتب الروائى مستخدماً أسماء مستعارة كثيرة، مناضلاً ضد الفيلسوف الجرد الجاف.

من المثالية إلى المادية :

ظلت الفلسفة المثالية الألمانية لأكثر من ثمانين عاماً تؤكد أن العالم يتأسس من أفكار، حتى لو كان هناك خلاف حول طبيعة هذه الأفكار، وطبيعة المعرفة البشرية عنها. وكان لودفيج فويرباخ (١٨٠٤-١٨٧٢) الشخصية الرئيسية في التغيير عن طريق لفئة جديدة لمفهوم هيغل عن الاغتراب. فعند هيغل أن الوعي يتقدم بأن يضع اختلافاً متناقضاً داخل ذاته، ثم يحاول عن طريق استبصار أبعد التغلب على هذا التناقض أو الاغتراب الذاتي. وعلى ذلك فإذا كانت تلك هي الطريقة التي تتقدم بها الروح، فإن خطأ الدين - في نظر فويرباخ - يصبح عندئذ واضحاً.



ثم انتقل بعد ذلك من نقد «اليسار الهيجلي» للأوهام الدينية إلى المادية الراديكالية «فأنت تكون ما تأكل» فيما يقول. وذلك يعني أن الحاجات المادية تأتي أولاً ثم تأتي الأفكار ثانياً. والزواج الذي عقده فويرباخ بين المادية والهيجلية فتح الطريق أمام مار كس.

المادية الجدلية عند ماركس :

بدأ كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) كشاب في «اليسار الهيجلي» لكنه طور نموذجاً جديداً من المادية الجدلية للتاريخ. فكانت فلسفته مزيجاً من المثالية الألمانية والاقتصاد السياسي الإنجليزي، والاشتراكية الفرنسية.



الجدل الهيجلي يجعل التاريخ البشرى قصة تقدمية تزداد فيها الحريات البشرية، وتتوج بالحرية المطلقة في الدولة البروسية. وهكذا «يقف هيجل على رأسه» في رأى ماركس. وبعبارة أخرى «ليس الوعى هو الذى يحدد الحياة، لكن الحياة هى التى تحدد الوعى». فالفكر لا يخلق الواقع ولا يستطيع أن يخلقه، لكن الوقائع الاقتصادية هى التى تستطيع أن تحدد كيف يفكر الناس.



التاريخ عند ماركس هو قصة الصراع الجدلى المستمر ليس بين الأفكار الهيجلية المجردة، بل بين جميع الطبقات الواقعية والقوى الاقتصادية. وهذا هو السبب فى أن فلسفته تسمى أحياناً «بالمادية الجدلية».

هذا الصراع التاريخى كان فى الأصل صراعاً بين العبيد وملاكهم، ثم أصبح بعد ذلك بين الأفتان وساداتهم الإقطاعيين. وفى المجتمع الحديث تدور الحرب الاقتصادية الآن بين الطبقة البرجوازية من أصحاب رأس المال ووسائل الإنتاج - والبروليتاريا - العمال الكادحين الذين يبيعون عملهم. وهذا الصراع الجدلى لا بد أن ينتهى لا محالة بثورة عالمية للعمال تغير شكل المجتمع البشرى والتاريخ بأسره



فلسفة الاقتصاد :

كان ماركس فيلسوفاً اقتصادياً حتماً يزعم أن جميع الأنشطة وللجتمعات البشرية، بما في ذلك الدين والفلسفة، قد أنتجتها باستمرار - على نحو مطلق - قوى مادية. إن الأساس الاقتصادي في أي نظام للعلاقات الاقتصادية وقوى الإنتاج سوف تحلده وتنفعه البنية القوية للمؤسسات القانونية، والسياسية، والثقافية.

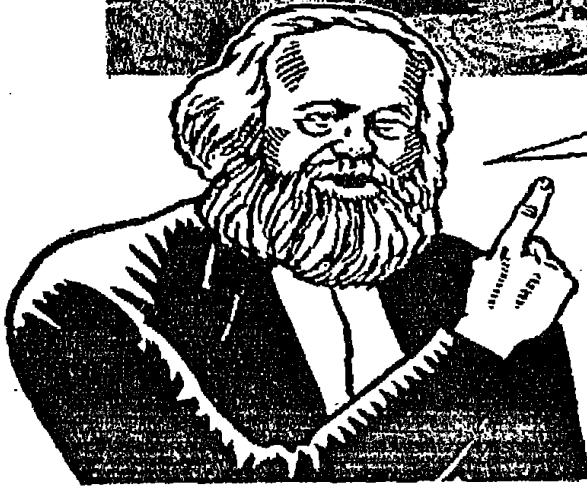
والدور الأول لهذه المؤسسات هو أن تفرز الأيديولوجيا وتعمل على نشرها. حتى تكون الأفكار المسيطرة في كل عصر هي أفكار الطبقة الحاكمة. وذلك يعني في النهاية أن الرأسمالين وضحاياهم معاً سوف يعانون من «الوعي الزائف» - أي عدم القدرة على التعرف على أن هناك استغلالاً من طبقة لطبقة أخرى.



فائض القيمة :

نظرية قيمة العمل قال بها عالم الاقتصاد «ديفيد ريكاردو» (١٧٧٢-١٨٢٣) عندما ذهب إلى أن السلع تستمد قيمتها من ساعات العمل التي بُذلت فيها. لكن ماركس ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك. فعنده أن ذلك يعنى أن صاحب رأس المال يستغل القوى العاملة بأن يسرق ساعات العمل الزائدة أو فائض القيمة لكل ما ينتجونه.

إن العامل سرعان ما ينتج سلعة كائنية لدفع أجره، والآلة التي يستخدمها، والمبنى الذي يعمل فيه.



لكنه يعمل ساعات زائدة عما تتطلبه حاجاته الضرورية، فيستولى صاحب رأس المال على الباقي.

العمال هم المنتجون الحقيقيون للثروة، لكنهم يغتربون عما ينتجون - ولا يرون أنه ينتمى إليهم فعلاً. «فيتحول عمل الكثيرين ذاته إلى رأس مال للقلة صاحبة الامتياز».

نهاية الرأسمالية :

وبفضل عالم اقتصاد آخر هو «آدم سميث» (1723-1790) اعتقد معظم الأوربيين في القرن التاسع عشر أنه لا مندوحة عن الرأسمالية أو حتى أنها عطية من الله. لكن ماركس كان يعتقد أن منظوره العملي إلى الاقتصاد يستطيع أن يتنبأ بدقة بالانفجار الداخلي للنظام الرأسمالي، فسوف تصبح الثروة مركزة في أيدي قلة، وسوف تنجرف الغالبية العظمى من السكان إلى الفقر.

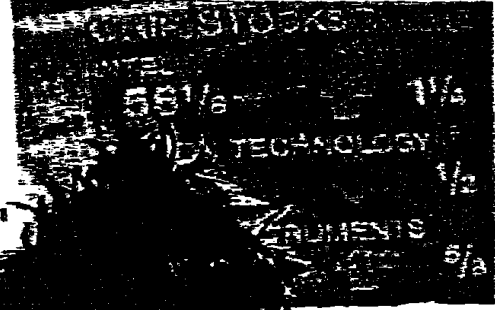


سوف تكون هناك أزمة
الإنتاج الزائد، وسوف
تنهار الرأسمالية.

وعندئذ لا بد أن تكون هناك ثورة ، وعندها
يظهر المجتمع الشيوعي الذي سوف يعطى
فيه كل فرد طبقاً لقدراته، ويأخذ طبقاً
لحاجاته.

ماركس : النبي :

كان ماركس يقول باستمرار : أنه «ليس ماركسياً» رغم أنه كان هو نفسه يأخذ أفكاره بجدية شديدة، فإنه لم يكن سعيداً باستمرار أن ينظر إليه بعضاً من تلاميذه على أنه نبي معصوم من الخطأ. والاقتصاديون، في يومنا الراهن، أقل اقتناعاً بأن من الممكن أن تتحول نظمهم إلى «علم» له الدقة التنبؤية التي يوثق بها. إذ تبلو كثرة من تنبؤات ماركس، الآن، خاطئة.



تبدو الرأسمالية
مرنة ومطاطة بطريقة
ملحوظة.



ومعظم المجتمعات الشيوعية الحديثة التي تزعم أنها مؤسّسة على مبادئ ماركسية، قد أصيبت بكارثة اقتصادية وأخلاقية.

لم تكن فلسفة ماركس واضحة جداً بصلد الطريقة التي يحدث بها الأساس الاقتصادي للمجتمع بينة التسوقية. ولقد وصل بعض الماركسيين في النهاية من أمثال هربرت ماركيزوز (1898-1979) من أعضاء «مدرسة فرانكفورت» إلى الاعتقاد بأن «البنية التسوقية» بالفعل حياة خاصة بذاتها.

ربما كان للأفكار من الأهمية ما للاقتصاد في تحديد الفكر والتاريخ البشري، مما يعني أن هيجل قد أصاب إلى حد ما فيما قال ... وهناك فلاسفة ماركسيون متأخرون ونشطاء يتفقون على ذلك بمن فيهم أنطونيو جرامشي^(١) (١٨٩١-١٩٣٧) الذي ذهب إلى أن الناس وصلوا إلى أن البناءات الأيديولوجية لعالمهم الاجتماعي والسياسي هي بناءات «طبيعية».



ولقد بين رولاند بارتيز^(٢) (١٩١٥-١٩٨٠).

(١) منتظر ماركسي ومؤسس للحزب الشيوعي الإيطالي (المترجم).

(٢) رولاند بارتيز، ناقد فرنسي كتب «أمبراطورية الدلالات» عام ١٩٧٠ وغيره من المؤلفات (المترجم).

المذهب النفعي : علم الأخلاق :

في الوقت الذي كان فيه ماركس يكتب مؤلفاته على عجل في مكتبة المتحف البريطاني، كانت هناك فلسفة مختلفة أتم الاختلاف، مادية وإلحادية، تضرب بجذورها في إنجلترا، أسسها جرمي بنتام (1748-1832)، ونقحها بعد ذلك جون ستيوارت مل (1806-1873) ولقد اعتقد الفيلسوفان الإنجليزيان معاً - على خلاف ماركس - أنه ليس هناك ما يعيب الرأسمالية من الناحية الداخلية، فلا مندوحة عنها وهي جيدة. كان بنتام محامياً غريب الأطوار اهتم بالعلاقة بين الأخلاق والقانون.



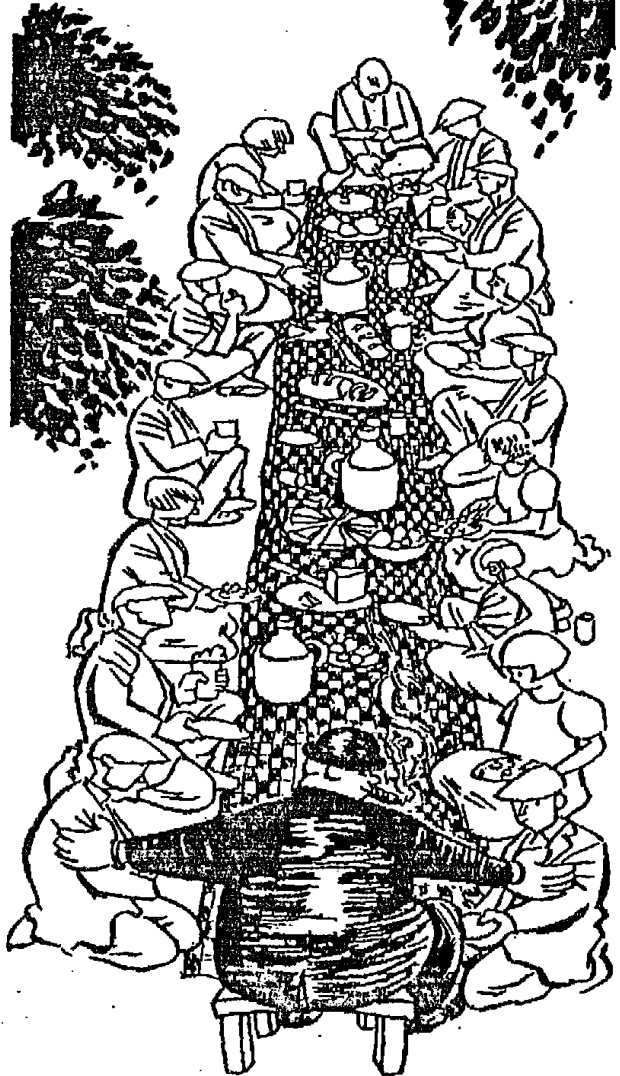
النظام القانوني الإنجليزي تأسس على خليط غير علمي من الأحكام المبتسرة التاريخية، والخرافة الدينية. ولهذا كان لغواً يمشى على ركائز خشبية.

وعلى ذلك فقد طرح نظامه الأخلاقي والسياسي الجديد على أساس التعريف «العلمي» للطبيعة البشرية.

جميع الموجودات البشرية كائنات
تخضع للذة والألم. ومن ثم
فينبغي للفلسفة الأخلاقية
والسياسية أن تسعى لزيادة اللذة
وتقليل الألم. ولا بد أن تكون
ديمقراطية.



ومن ثم فمهمة أى حكومة
منتخبة أن تحقق أعظم قدر من
السعادة لأكبر عدد من الناس.



كان بتسام يؤمن أصلاً بأن
«السعادة» يمكن أن تكون كمية
وأن تقاس علمياً. وعلى ذلك فمن
الممكن أن تحل الأمور الأخلاقية
والمشكلات السياسية. وهذا ما
أسماه بحساب السعادة أو صناعة
السعادة. كما كان يعتقد أن النظام
الرأسمالي هو أفضل النظم في
إنتاج مقادير ضخمة من السعادة
المادية.

السعادة العامة :

ومن الواضح أن «مذهب المنفعة» يلعب دوراً في طريقة تنظيم الحكومة الديمقراطية الشعبية. إذا ما أعطت الشعب ما يريد أو ما تعتقد الحكومة أنه خير للناس فالمذهب يشجع المثل العليا العصر الفيكتوري في النفع العام، مثل إعداد الصرف الصحي، وبناء المدارس والمستشفيات لأن هذه الأمور تجلب السعادة. ويعتقد بتتام أيضاً أن على الحكومات أن تعاقب العمل السيئ بإعداد ملاجئ، أما المجرمين فتعاقبهم بوضعهم في سجون مكشوفة تسمح بالرؤية في جميع الاتجاهات بحيث يراقب كل سجين على الدوام من برج مركزي.



طغيان الأغلبية ومذهب التعدد :

ولقد حاول جون ستوارت مل تعديل نظرية بنتام، فقد كان يخشى أن يؤدي مذهب المنفعة بطريقة آلية إلى طغيان الأغلبية، فإذا ما اعتقدت الأغلبية أنها ستكون فقط سعيدة عندما تضع حدوداً قاسية على جماعات الأقلية مثل جماعات الغجر ورعاية العصر الجديد، فهذا ما ينبغي على الحكومة أن تقوم به.

ولا يزودنا المذهب النفعي بأي شروط مقنعة عن الحقوق البشرية، ولأنه لا بد أن يكون هناك نوع ما من القوة المركزية لتوزيع مقادير السعادة، فإن الحكومات المركزية وإداراتها البيروقراطية تصبح قوة متزايدة.

وذلك ما أقلق مل، ولذلك دافع في كتابه «عن الحرية» عام ١٨٥٩^(١) عن التسامح مع أفكار الأقلية وأسلوبها في الحياة، بشرط عدم الإضرار بالآخرين



المجتمع التعدد مجتمع صحي ، لأنه يزودنا بجو لا بد أن تنتصر فيه الحقيقة في النهاية على الكذب والزيف، فهناك بالنسبة للأخلاق ما هو أكثر من أن تحكم الأغلبية.



ويبدو أن مل أيضاً لاحظ أن أسس المنفعة العامة عند بنتام هي نفسها أسس رواقية. فحتى إذا ما كانت الأفراد مجبولة بيولوجياً للسعي عن سعادتها الخاصة، فما هي الحوافز التي تقدمها لهم لإحجاز سعادة الآخرين... ؟

(١) قمنا بترجمته مع كتاب مل «مذهب المنفعة العامة» كتابنا في «أسس الليبرالية السياسية»، كما ترجمنا مل أيضاً كتابه «استعباد النساء» الذي دافع فيه عن حرية المرأة. وقد نشرتهما مكتبة مديولي بالقاهرة عام ١٩٩٦ (الترجم).

أصول الفلسفة الأمريكية :

كانت أمريكا ابتكاراً أوروبياً، فدستورها يقوم على أساس المبادئ الفلسفية لعصر التنوير. وبعد حرب الاستقلال (عام ١٧٧٤-١٧٨١)، كان على ما يسمى «بالآباء المؤسسين». أن يقرروا ما الذي ينبغي أن يكون عليه مستقبل أمريكا السياسي. ودار نقاش طويل حول دور الحكومة المركزية، ومدى سلطاتها. عدد كبير من السياسيين الأمريكيين، على نحو يثير الدهشة، كانوا يرتابون بالفعل من المؤسسات الديمقراطية، غير أن آخرين من أمثال «توماس جفرسون ١٧٤٣-١٨٢٦» و«بينامين فرانكلين (١٧٠٦-١٧٩٠) استمدوا آراءهم وأفكارهم الفلسفية والسياسية الجديدة من أوروبا وأخذوها مأخذ الجد التام. وفي النهاية انتصرت أفكارهم، وأصبحت أمريكا جمهورية ديمقراطية.



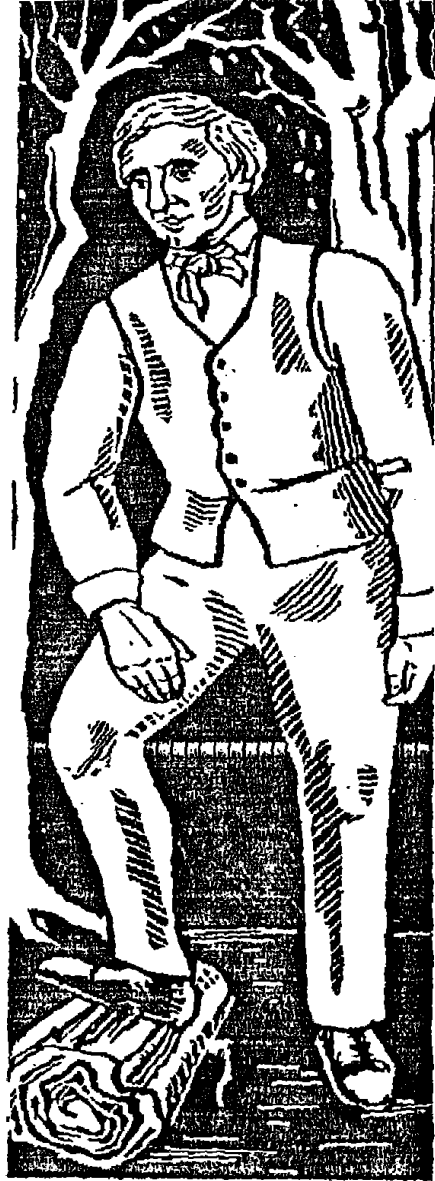
ومن ثم فإن الحكومة توجد أساساً
لكي تضمن حقوق مواطنيها مثل
حقهم في الحياة والحرية
والتماس السعادة.

ليس هناك حكومة هي الأفضل :

أحد الفلاسفة الأمريكيين الأوائل كان يعتقد أن الحرية والسعادة إنما ينجزان على نحو أفضل دون مساعدة الحكومات : هذا الفيلسوف هو «ديفيد هنري ثورو» (١٨١٧-١٨٦٢)^(١).

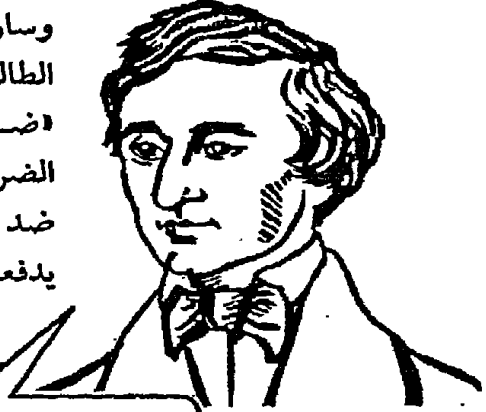
هجر «ثورو» المجتمع لمدة سنتين وشهرين ويومين، وقرر أن يعيش في كوخ ريفي بسيط بولاية ماساشوست حول إحدى البحيرات حيث كتب «وولدن» عام ١٨٥٤. التي تشيد بالهدوء والجمال في الطبيعة من حوله وتمتدح الحياة البسيطة.

حياتنا تتبدد
في التفاصيل ... البساطة ...
البساطة ... !!



(١) كاتب وشاعر أمريكي كان يكره الاستبداد والرق قرر الاعتزال والعيش في كوخ ريفي لمدة عامين حول بحيرة وولدن، ومن التجربة التي مر بها أخرج أشهر أعماله «بحيرة وولدين» عام ١٨٥٤ ليصف حياته في هذه المنطقة كما كاتب: «أمريكي في كندا» دافع فيه عن قيمة الفرد في المجتمع المادي (الترجم).

وفى يوم من أيام عام ١٨٤٦ ترك «ثورو» كوخه وسار الهويتا إلى المدينة ليشتري حذاءً، لكن لسوء الطالع طلب منه ضابط شرطة المدينة أن يدفع «ضريبة الرأس»، ولما كان ثورو يعتقد أن هذه الضريبة سوف تُستخدم للمساهمة فى نفقات الحرب ضد المكسيك، ولمساندة قوانين الرق، فقد رفض أن يدفعها، فأودع السجن لمدة ليلة، ونتيجة لذلك كتب «العصيان المدني»: المقالة الرومانسية الفوضوية العميقة.



يوصى مقالى بالمقاومة السلبية
كوسيلة للاحتجاج ضد الحكومات
الشريرة.



لقد استخدمت المقاومة السلبية لى
أواجه الامبراطورية البريطانية فى الهند
ثم أهرزها فى النهاية

هذا التراث النبيل لعدم الاكتراث بالآخرين ، واصل وجوده حتى الآن، فكثير من المفكرين الأمريكيين الممتازين من أمثال «توم شوسكى (ولد عام ١٩٢٨) لايزالون يؤمنون بأن الأولوية لسلطان الضمير الفردى على سلطان الدولة. كما ظلت الحرية، بحق، فى عدد كبير من النقابات وقوى الحكومة التى تسيطر بلادها وسياساتها الخارجية. ويمكن القول أن سلوك «الحنافس» و«الاسلوب الوجودى» هما خياران يمكن أن يرتدا إلى الانشقاق الفوضوى عند ثورو.

أمرسون : المعرفة التي تقع في الماء وراء :

لم يطور ثورو أفكاره عن الضمير الفردي في عزلة ريفية رائعة، لقد كان جزءاً من حركة أمريكية فريدة فلسفية وأدبية عرفت باسم «الترنسنتالية» (أو الفلسفة للتسامية) وعندما نلتصق صفة التسامى أو التعالي بفلسفة ما، فإن ذلك يكون في العادة بسبب قولها بدعاوى ميتافيزيقية لمعرفة أعلى وأكثر صلداً تتجاوز بطريقة ما التجربة الحسية البشرية المألوفة ومن ثم لا يمكن بلوغها إلا عن طريق العقل أو الحدس. «قالصو» أو «المثل» عند أفلاطون، والأفكار اللاهوتية في العصور الوسطى عن طبيعة الله لا يمكن بلوغها، رغم أن من الممكن استنباط بعض المعرفة الترنسنتالية من مقولات وحلوس تجعل التجربة البشرية كلها مكتة.



كانت ترنسنتالية «رالف ولدو أمرسون (١٨٠٣-١٨٨٢) فريده وخليطاً غريباً، إلى حد ما، من الأفلاطونية، وكانط، والرومانسية الإنجليزية. وهي صوفية بطريقة عميقة تشدد على أولوية الحدس والضمير الفردي على سلطة الدولة والديانة للنظمة.

لا شيء في النهاية
مقدس سوى سلامة
ذهنك!.

اعتنق الترنسندناليون من أمثال «امرسن» و«ثورو» مذهب وحدة الوجود عن جمال العالم الطبيعي، وهو جمال موجود بسبب أن الأولوية كاملة في جميع الأشياء الأرضية، (وهي وجهة نظر فلسفية غير متعالية أو متسامية في الواقع). ويذهب امرسن إلى أن الغرض الأساس من الحياة البشرية هو الوحدة المطلقة مع «الروح الأعلى» وهي كيان لا شكل له يشبه إلى حد ما جوهر اسبنوزا الواحدى أو «الروح» عند هيجل. ومذهب «الترنسندنالية» هو مزيج مستمد من كثير من الأفكار المختلفة من التراث الفلسفى والأدبى الأوروبى (والشرقى) التى جعلته بالفعل ظاهرة اجتماعية وأدبية ممتعة أكثر منه ظاهرة فلسفية.



كلانا : أنا وثورو كنا ننتقد أمريكا التى رأيناها تصبح على نحو متزايد أكثر مادية، وحضارية، وصناعية.

أصبح امرسن فى سنواته الأخيرة إيجابياً نشطاً فى قضية إلغاء الرقيق والقى، الكثير من الأحاديث ضد الرق فى الولايات الشمالية ولقد كان الأثر الطيب الذى تركه الرجلان على الحياة الثقافية والسياسية الأمريكية هائلاً : «من يريد أن يكون إنساناً، فلا بد له أن يكون منشقاً على الكنيسة».

البرجماتية :

غير أن الفلسفة الأكثر أهمية، وهي الفلسفة الأمريكية المستقلة حقاً فهي البرجماتية. فشارلز ساندرز بيرس (١٨٣٩-١٩١٤) ووليم جيمس (١٨٤٢-١٩١٠) كانا معاً فيلسوفين تجريبيين راديكاليين. ومن ثم كانا يكتنان شيئاً من العداوة للفكر النظري/ الميتافيزيقي الذي كانت تسمح به «الترانسندنتالية». لقد رفضت البرجماتية الآراء الفلسفية العقلية والتجريبية التقليدية عن المعرفة باعتبارها تجربة ذهنية خاصة. وذهبت إلى أن المعرفة البشرية لا بد أن ترى على أنها أكثر من الاستجابة للبيئة في قدرتها على حل المشكلات.



ش. بيرس :

أكثر البرجماتين أصالة وعمقاً هو بلا شك شارلز بيرس، ولم تكشف جملته إلا
حليئاً من حيث أنه قام بمفرده في تمهيد الأرض للكثير من
فلسفة القرن العشرين. وهو مثل «ثور» لم ينسجم
أبداً مع جماعة أمريكية لها احترامها. ولم ينشر
كتاباً طوال حياته، عاش معظم حياته متوحداً
متزلاً عن العالم، ومات فقيراً. كان يعمل في ستواته المبكرة
عالم طبيعة، وقد وصل إلى بعض المكشفات الهامة في علم
طبيعة الأرض، كما قام أيضاً ببعض المساهمات الرئيسية في
المنطق الصوري وفلسفة العلم. واستبقت فلسفته التجريبية
الرايكية آراء الوضعيين المناطقة على نحو
ما سنرى.



ليست هناك

حقائق مطلقة يمكن أن تفرزها
الفلسفة عن طبيعة الواقع ، ولا بد
من اختبار الأفكار الفردية
باستمرار بما تؤدي
إليه من نتائج.

كان يقول عن نفسه أنه «خطأ نادم» لأنه لم يلحظ أن المعرفة العلمية البشرية كلها
شرطية ومؤقتة، وبذلك سبق «نظرية التكذيب» عند كارل بوبر (انتظر ص ١٥٠ فيما بعد).

علم الدلالات :

وما أكثر أهمية أن يبرس هو الذي ابتكر علم الدلالات أو نظرية الإشارات: وهي نظرية كانت حاسمة في تطور الفلسفة البنائية، وما بعد الحدائة، في القرن العشرين. ويصنّف يبرس الإشارات على أنها «طبيعية» مثل «السحب التي تشير إلى المطر» و«البقع التي تدل على الحصبة»، و«أيقونية» (حيث تشبه الإشارة ما تشير إليه، كما هي الحال في صورة الفول على غلاف فول مجمد) أو «اصطلاحية» (حيث تكون الإشارة شيئاً نبتكره فحسب نتيجة الاتفاق أو العرف مثل اللون الأحمر الذي هو إشارة إلى الخطر في للجمتمعات الغربية، ويسمى يبرس هذه الإشارات الأخيرة «بالرموز».

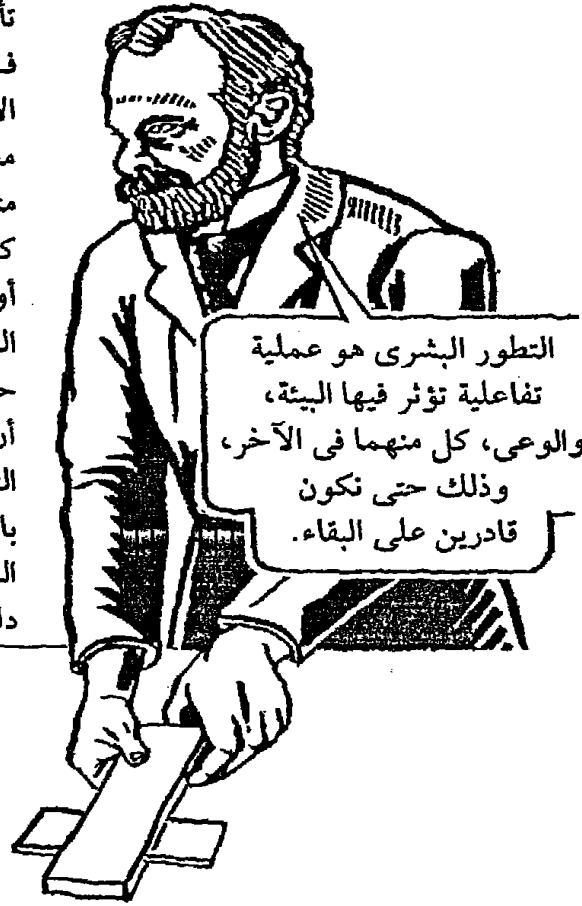
وهي الأغرب لأنها مؤلفة فحسب من واقعه أنها تستخدم أو تفهم بما هي كذلك.

والكلمات واللغة مبنية من مثل هذه الرموز والإشارات الطبيعية والأيقونية تشير في العادة إلى حضور ما تدل عليه. في حين أن الرموز - مثل الكلمات - نادراً ما تفعل ذلك. فلو أتت قرأت كتاباً فيه الرمز «فيل» فأتت نادراً ما أستتج من ذلك أنه يوجد فيل في منزلي. وهكذا يشترط يبرس جداً من القول بأن الكلمات رموز «تعسفية» أو اعتباطية لا تزال، بطريقة ما، تتج معنى، وتقرينات هذا الاكتشاف بالغة الأهمية للفلسفة، على نحو ما سنرى في القسم الأخير من هذا الكتاب.

وليم جيمس :

تأثر وليم جيمس بقوة بيرجمانية بيرس، فذهب إلى أننا ينبغي أن لا ننظر إلى الأفكار على أنها كيانات ميتافيزيقية مجردة، بل أدوات ذات استخدام عملي - مثل القدرة على التنبؤ بالتجارب. وكان كتابه «مبادئ علم النفس» عام ١٨٩٠ أول كتاب مدرسي حقيقي في موضوع الذهن البشري.

حيث كان يصر على أن علم النفس لا بد أن يتشبه أكثر بالعلوم الطبيعية التجريبية... لقد كان جيمس مهتماً بالأساس الفسيولوجي للوعي، وبوظيفته البيولوجية التي شرحها بمصطلحات دارون.



التطور البشري هو عملية تفاعلية تؤثر فيها البيئة، والوعي، كل منهما في الآخر، وذلك حتى نكون قادرين على البقاء.

علم النفس عند جيمس كثيراً ما يُعرف باسم «النظرية الوظيفية»... وهذا هو ما يفعله الوعي والفروق التي يحدثها التي يراها جيمس سمات شامة؛ ولقد لاحظ جيمس أيضاً كيف يوجد الوعي كتيار متصل أكثر منه سلسلة من الأفكار المتصلة وهو استبصار كان له تأثير في كل من الأدب القصصي في القرن العشرين وظاهريات هوسرل. ولقد ذهب جيمس أيضاً إلى أن من الممكن ممارسة الإرادة الحرة لكي يعالج المرء نفسه من الاكتئاب، ولقد فعل هو نفسه شيئاً من هذا القبيل. ولقد لاحظ أن الإيمان الديني كثيراً ما يضيف معنى على كثير من الأفراد، وفي السنوات الأخيرة من حياته درس ظواهر التصوف في كتابه «صنوف من التجربة الدينية» الذي أصدره عام ١٩٠٢. ولقد أنهى أخيراً إلى أن الله موجود، لكنه متناه، مما يفسر كيف، ولماذا، تكون الموجودات البشرية حرة، ومنفصلة عن الله، ولماذا يوجد الشر في العالم.

جون ديوى :

جون ديوى (١٨٥٩-١٩٥٢) فيلسوف برجماني «وذرائعى» نسقى، آمن بأن «التفلسف» الحق يعنى أن يكون عقلياً ناقداً مؤكداً للمنظور العلمى» فى معالجة المشكلات البشرية. والبرجمانيون من أمثال ديوى كانوا متحمسين إلى أقصى حد لنجاح العلم ومناهجه فى البحث، كما كان ديوى مقتنعاً أن الفلسفة يمكن أيضاً أن تلعب دوراً رئيسياً فى مجال الديمقراطية الأمريكية الخلاقة، عن طريق المساهمة فى جميع أنواع المعرفة: فى مجال الأخلاق، والفن، والتربية، وانبثاق علوم اجتماعية جديدة. وكان ديوى - مثل بيرس - «خطاء» من الناحية النظرية. لكنه لا يزال مؤمناً إيماناً جازماً فى الإمكان الحقيقى للتقدم العلمى فى الأمور البشرية، فالمجتمع لا يمكن أن يتقدم إلا إذا كان أعضاؤه على قدر من التربية ليكونوا عقلايين ومرنين.



أنا أقترح أن لا ينظر التربويون إلى الأطفال (بعد ذلك على أنهم قدور فارغة سلبية لا تحتاج إلا إلى أن نملأها بالمادة أو بالمعلومات.



لكن على نحو ما يحتاج من يقوم بحل المشكلات الذهنية، على نحو مستقل إلى المواجهة والتحدى المستمر.



وكان يتم تشجيع الأطفال ولا يزال فى مدرسته التجريبية فى جامعة شيكاغو، على حل المشكلات عن طريق ابتكار الفروض واختبارها. واعتقد ديوى أنه لا بد من تشجيع الفن لأنه يثير «الحلول» الخيالية و«مشكلاته» الخاصة الفريدة.

الديمقراطية :

كان ديوى يستحسن الديمقراطية لأسباب برجماتية جداً، فالاجتماعات الديمقراطية هي الأفضل لأنها مجتمعات مرنة طيعة، تتجنب المعتقدات الجامدة، وبذلك تكون قادرة على التغيير. وذلك يعنى أيضاً أن ديوى كان مهتماً بالنظم الجديدة فى علم الاجتماع لقدرتها على إنتاج احصاءات مفيدة، فالشكلات الاجتماعية - فى رأيه - لا يمكن حلها عن طريق التنظير للجرد.



كان ديوى - مثلنا جميعاً - تاج عصره. ورؤيته «المجتمع» محدودة بحدود الطبقة المتوسطة، وبوجهة نظر أمريكية لمدينة صغيرة. وآراؤه متدرجة. وكان يعتقد أن التربية وليس الإثارة أو التهيج : هي التى تقوم بتحسين حياة أفراد الشعب الأمريكى العاديين.

البرجماتيون الجدد :

البرجماتية - في أمريكا ما بعد الحرب - شابها خسوف في النهاية، بسبب المستوردون الأوربيون الذين استوردوا الفلسفة التحليلية والظاهرية. لكن ذلك لم يستمر طويلاً: فالواقع أن البرجماتية لم تختف أبداً. فلا يزال الفلاسفة الأمريكيون يؤمنون أن موضوعهم لا بد أن يكون شيئاً مفيداً عملياً - على الرغم من أن هناك قدراً كبيراً من الاختلاف عما عساه أن يكون بالضبط هذا «المفيد»، فأحد الفلاسفة الأمريكيين وهو: و.ف. كواين (ولد عام ١٩٠٨) بين - بمفرده تقريباً - أن بعض المعتقدات المركزية في الفلسفة التحليلية هي في الواقع غامضة وغير دقيقة على نحو مقلق. ولقد كان كواين فيلسوفاً برجماتياً لأنه ذهب إلى أن المعرفة البشرية لا مندوحة لها عن أن تكون كلية^(١).



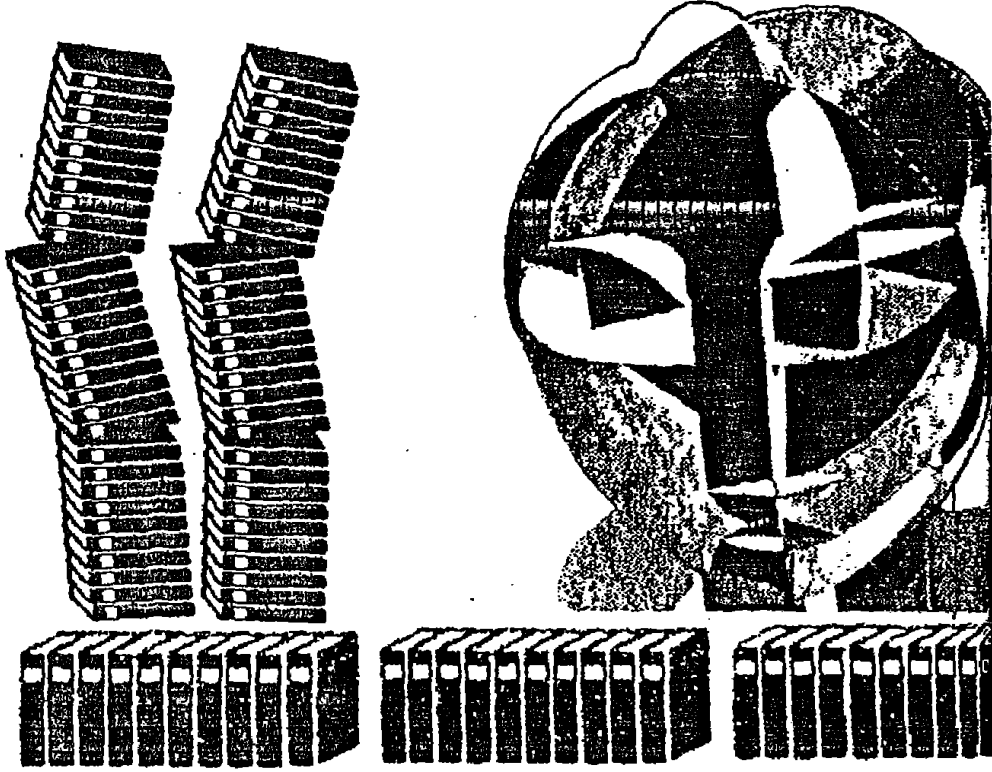
المعرفة هي نسيج لجسم متكامل من المعتقدات يمكن أن يتغير باستمرار عن طريق التجربة - حتى معتقداتنا عن الرياضيات والنطق.

أنا أشك بعمق في الفلسفة الوظيفية التي تذهب إلى أنه هناك طريقة ما خاصة يستطيع الفلاسفة بواسطتها أن يصنعوا حقائق لا يمكن الشك فيها عن الواقع، أو أن يرسوا أسساً لكل معرفة بشرية.

هناك فيلسوف أمريكي آخر يلقب بالبرجماتى الجديد «الراقي» لأنه لا يزال يصرّ على طرح التساؤل حول الغرض القلبي من الفلسفة.

(١) والكلية هنا Holisim تحتاج إلى تفسير فهي نظرية ترى أن أنواع الكل Wholes أو بعضها هي أكثر من مجموع اجزائه، بمعنى أن لكل من الخصائص ما لا يمكن تفسيره عن طريق الخصائص والعلاقات، والكائن الحى مثال على ذلك. وهذه النظرية هامة في الفلاسفة التالية عن الدولة. وقد طورها كواين في نظريته عن العلم. (لترجم).

الانهيار الفلسفى: (١)

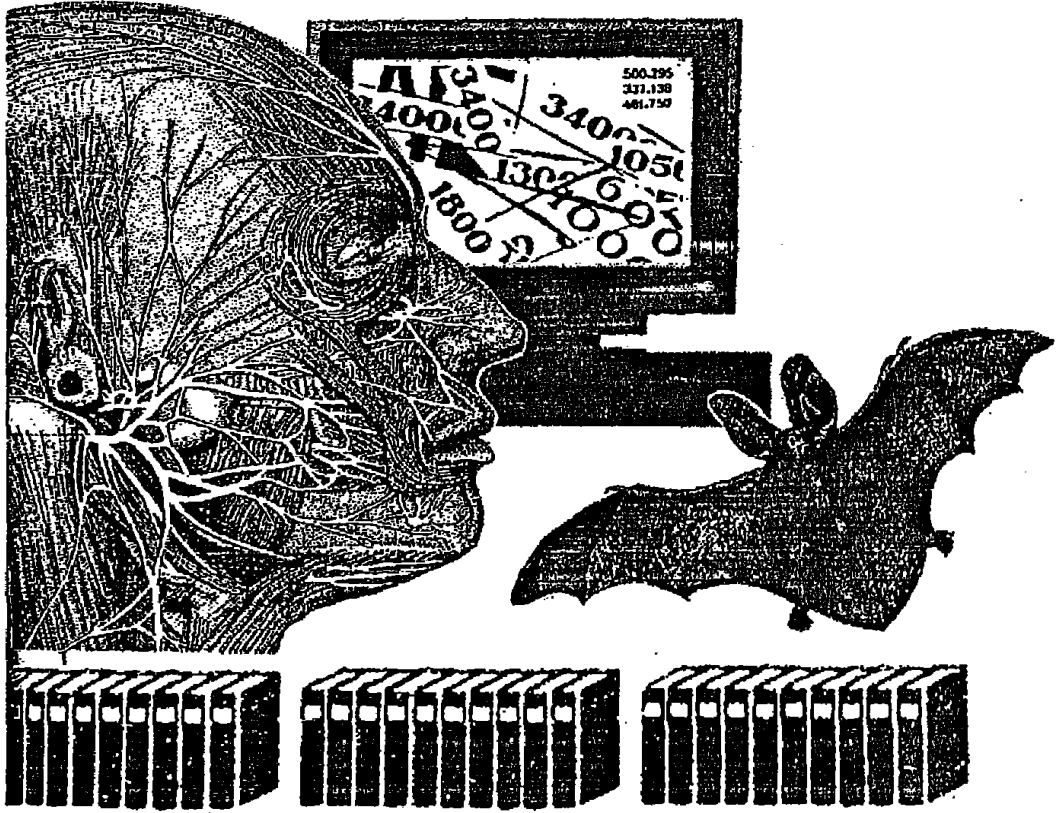


هناك فى الولايات المتحدة الآن عشرة آلاف فيلسوف أكاديمى محترف على الأقل؛ لايزالون يتصورون الفلسفة على أنها النشاط العملى الذى يعالج «مشكلات» الوعى والذكاء الاصطناعى، والأخلاق الطيبة، والحقوق الإنسانية، والرياضيات، ومضامين النسبية الاستمولوجية، والأخلاقية، والمنطق ... وما إلى ذلك. ان الفلسفة الأمريكية منشأة هائلة ومضنية، لا يستطيع مثل هذا الكتاب إلا أن يلخصها وبطريقة غير كافية تماماً.

- جون رولز (ولد ١٩٢١) حاول فى كتابه «نظرية عن العدالة» أن يبين كيف يكون من الممكن التوفيق بين العدالة الاجتماعية، والديمقراطية الليبرالية الرأسمالية، والعقد الخيالى الواضح لما قبل الاجتماع.

- سول كويك (ولد ١٩٤٠) حاول أن يغير الطريقة التى يفكر بها الفلاسفة فى موضوع العلاقة بين المنطق والتجربة. وهو يزعم أن معرفتنا بأن الماء يتركب من ذرتين هايدروجين وذرة أكسوجين «كيقين» تشبه معرفتنا للرياضيات والمنطق.

(١) الانهيار أو الانجراف - والكلمة التى يستخدمها المؤلف هى التيهور Avalanche وهى تعنى كتلة ضخمة من الثلج تنهار بسرعة على جانب الجبل. (الترجم).



- دانييل بنيت : (ولد عام ١٩٤٢) أتى بأفكار راديكالية جديدة عن طبيعة الوعي البشري، على نحو ما فعل توماس ناجل (ولد عام ١٩٣٧) في مقاله الشهير بعنوان: «ما الذي يعنيه أن تكون خفاشاً؟»

- جون سيرل (ولد عام ١٩٣٢) أصدر كتاباً عن فلسفة اللغة، ونقده للنظريات المادية الحماسية عن الذهن. مؤكداً أن عدداً ساحقاً من الكمبيوتر سوف يكون أسرع - لكن أشد غياباً - منا لأنها لن تكون لديها نظرة مقنعة عن «المعنى».

والبرجماتي الجديد «روتى» من المعروف عنه تأكيده أن الفلسفة ليست أكثر من رجل يفكر بصوت عال في محادثة عامة حضارية ضخمة. بل ما هو أسوأ، أنها نوع من «المرض» يحتاج أطبائه إلى علاج. فالنظرة الشكية يمكن أن تكون صحيحة تماماً، لكن يبدو أنه من غير المحتمل تماماً أن يتوقف العدد المخيف من الكتب والمقالات الفلسفية الأمريكية الجديدة التي تنشر الآن كل عام (حوالي أربعة آلاف).

مدخل إلى فلسفة القرن العشرين :

قال نيتشه إن الأفكار الفلسفية ليست أكثر من المعتقدات السائدة في عصرها. وليس القرن العشرون استثناء من هذه القاعدة إذ يميل فلاسفته بطرق شتى إلى توجيه الخطاب نحو نفس الموضوعات السائدة. مثل مشكلات مجتمع الجماهير الحديثة التي تفقد هويتها الفردية. واللايقين النسبي والشك. والتركيز أكثر تخصيصاً على مشكلات الوعي البشري المعقدة. ومشكلات المعنى والمتنطق. وكثيراً ما كانت فلسفة الثمانين سنة الأخيرة تصنف على أنها إما فلسفة تحليلية أو فلسفة قارية (أوربية).



يمكن أن نقول : إن فلسفة القارة هي إعادة نظر في التراث الذي أنتجه ديكارت، وكانط، وهيغل.

أصول الظاهريات :

أدى نقد كانط للميتافيزيقا إلى القول بأن كل ما نستطيع معرفته بأي درجة من اليقين التجريبي هو عالم الظاهر : عالم التجربة الحسية، لكننا لا نعرف أبداً عالم النومين أو عالم الشيء في ذاته. نحن نعرف ما يظهر لكننا لا نعرف الأشياء على حقيقتها. والسؤال الذي يطرح نفسه هو : لكن ماذا عساه أن يكون ذلك الذي نخبره عندما نعر بالتجربة ؟

بدأت الظاهريات بمحاولة للإجابة عن هذا السؤال بالتركيز على تحليل الكيفية التي تظهر بها الأشياء أمام الوعي.

واقترح الفيلسوف وعالم النفس فرانتز برنتانو (١٨٣٨-١٩١٧) إنشاء «علم نفس فيتومينولوجي أو وصفى».



أنا أريد أن أعرف بالضبط ما الذي يعرفه الفرد عندما يكون شيء ما حاضراً لديه في الوعي.

ويؤكد برنتانو أولوية القصيد : فالوعي دائماً موضوع «يقصده» فهو باستمرار يتجه نحو شيء ما؛ فإذا ما اعتقدت، أو كرهت، أو رأيت، فإن ذلك يعني أن هناك باستمرار شيئاً أعتقد فيه، أو أكرهه، أو أراه، حتى ولو لم يكن موجوداً بالفعل كالشيخ أو الذاكرة.

حلقات الوصل بين علم النفس والرياضيات :

ترتبط الظاهريات ارتباطاً مباشراً بنشأة علم النفس التجريبي الذي أسسه رسمياً فلهلم فونت (١٨٣٢-١٩٢٠) عام ١٨٧٩ فكان أول من ذهب إلى أن الاستبطان - أو فحص المرء لحالاته الذهنية الداخلية طبقاً لقواعد دقيقة - يمكن أن يكون منهجاً تجريبياً. ولقد كان «برنتانو» نفسه قريباً من مؤسس علم نفس الجشطالت : كريستيان فون. اهرنفلز (١٨٥٩-١٩٣٢). وتزودنا الرياضيات أيضاً بحلقة وصل هامة في حالة ادموند هوسرل (١٨٥٩-١٩٣٨) الذي كان في الأصل فيلسوفاً للرياضيات، وتبنى فكرة برنتانو في الوعي القصدى. وهو يعرف الظاهريات بأنها وصف للمضمون الوعي.

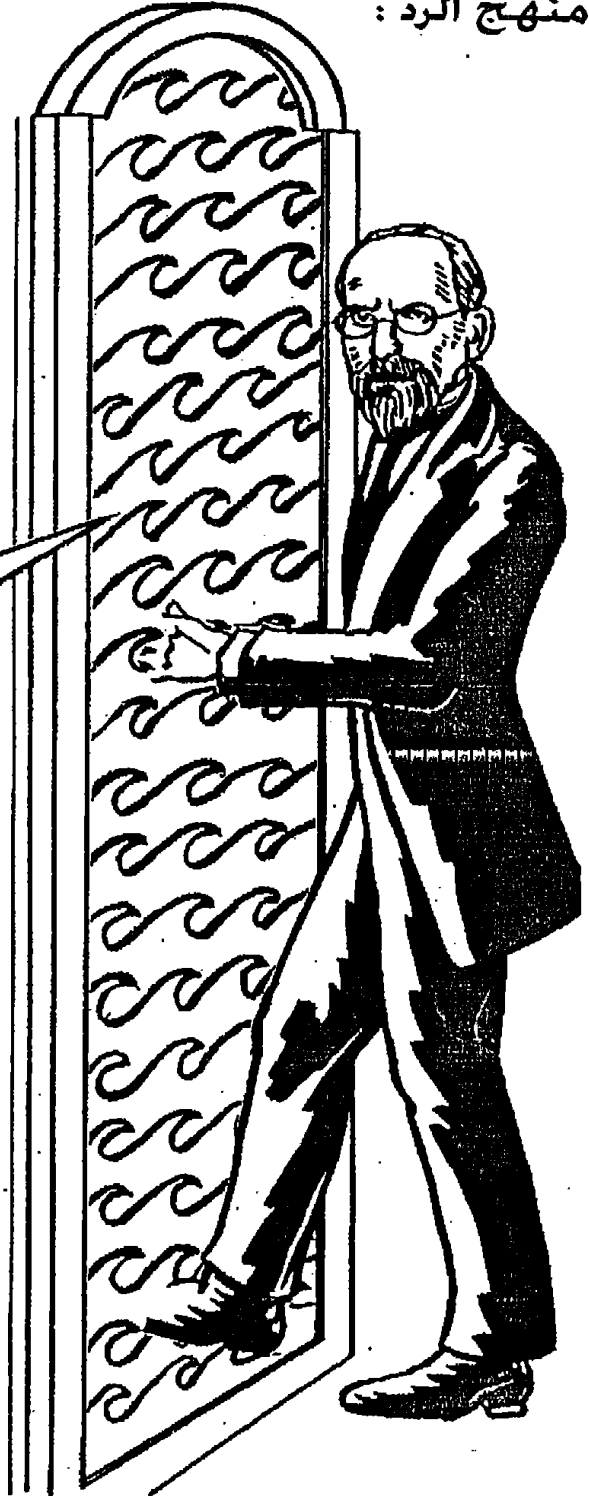


منهج الرد :

يبدو أن هناك طريقاً واحداً فقط
لنعرف عن يقين ما هو الوعي. وهذا
الطريق هو انجاز سلسلة من «الردود»
التي تتجاهل جميع الخلافات النظرية
والميتافيزيقية بحيث نركز فقط على
مضمون الوعي، وسمته الأساسية
وهي «القصدية»، ويسمى هوسرل
هذه العملية بالتوقيف أو التعليق.

وهذه الحيلة تعنى تعليق أو «وضع
بين قوسين» جميع الأسئلة عن
«الحقيقة» أو «الواقع»، حيث نظل
المباشرة الفريدة الخالصة للتجربة هي
وحدها مضمون الوعي.

المشكلة هي - كما أشار هوسرل - أن
مثل هذه الممارسة سوف تؤدي إلى
مذهب «الأنا وحدي Solipsism»
- الذي يقول : إن كل ما تعرفه عن
يقين كاملي هو نفسك. ولقد تشكك
حتى في ذلك، مادامت هويتنا لا
تكون حاضرة أبداً على نحو مباشر
لوعينا.



هيدجر : التنقيب عن الوجود :

امتدت الظاهريات حتى وصلت إلى المستوى الأول للوعى . والسؤال هو : هل تدرك «الأشياء ذاتها» فى الوعى، أم أن العالم هناك من أحلّ الذهن فحسب ؟ ، مارتن هيدجر (١٨٨٩-١٨٧٦) أحد تلامذة هوسرل أصل السؤال بأن جعله أساسياً أكثر بحيث يدور حول معنى الوجود. وهذا السؤال عن الوجود يسمى «الانطولوجيا الأساسية» فى كتاب هيدجر «الوجود والزمان» (١٩٢٧) وهو يتعلق بنا على نحو قاطع من حيث أننا موجودات بشرية موجودة.

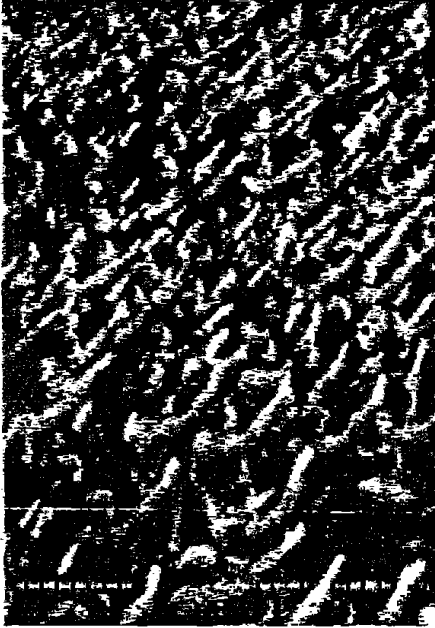


فكرة ديكارت عن أننى «موجود» لأننى «أفكر» تشبه هوية الوعى عند هوسرل، فهى تتجاهل أننى موجود فى العالم عن طريق قيد أخلاقى، فالوجود هناك فى العالم أو «الآنية» ليست على الإطلاق هى نفسها «الوجود الواعى»، فالوجود البشرى هو قدرتنا على التواجد فى العالم، وتحديد الخيارات التى نقوم بها، بما فى ذلك الخيارات «الأصلية والزائفة».

العدم : وانعدام الأصالة :

يتساءل هيدجر «لماذا يكون هناك شيء ما بدلاً من العدم»؟ إننا نصادف القلق بلا موضوع. وهو «علم» أو موتنا القريب. لكن بينما نعيش، فإن وجودنا لا بد أن يتحقق عن طريق أفعال الاختيار الحر. وذلك وحده هو الذي يمكن أن يعطينا ضماناً للأصالة. لقد «قُدِّف» بنا إلى العالم، ويعنى ذلك عند معظم الناس، أن يتجدد الوجود عن «طريقهم» عن طريق الأدوار المتوسطة في الحياة اليومية التي يفرضونها علينا.

الدور الذي نزعمه هو الذي يجعلنا غير أصلاء لأنه ليس ملكاً لنا.



لكن هل من الممكن أن تكون «أصيلاً ذاتياً» في زمن تعيش فيه في مجتمع الحشد، والأيديولوجيات الشمولية، والتكنولوجيا؟ وانتهى هيدجر - نظراً للصعوبات - إلى أن الموجودات البشرية بحاجة إلى أن يلتزموا بثقافتهم وتراثهم الخاص - وهي وجهة نظر أدت به إلى اختياره السياسي المشعوم في دعمه لهتلر والنازية. وهو أمر لم يأسف عليه أبداً فيما يبدو. وهكذا يظل شخصية إشكالية.

وجودية سارتر :

أنكر هيدجر أى صلة له بالوجودية، تلك الفلسفة التى طورها أساساً جان بول سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠) من مصادر نموذجية من القارة: هيجل وهوسرل. وعلى الرغم من أن كتاب سارتر «الوجود والعدم» قد تأثر بوضوح بهيدجر، فقد كان ماركس فى النهاية أكثر أهمية. لقد كان سارتر أيضاً يبحث عن «الأصالة» وشارك كيركجور إيمانه «بالالتزام». إلا أن كل شىء يعتمد تماماً على واقعة أنه لا يوجد إله، الأمر الذى يجعل الكون «عبثاً»، بلا معنى، ولاغرض. وعدم وجود إله يعنى أيضاً أنه ليس ثمة شىء اسمه «الطبيعة البشرية» لأن الموجودات البشرية ليست «مصنوعة» عن طريق خطة إلهية أو ماهية إلهية.



إننا «نصنع أنفسنا» عن طريق الاختيار، أو كما يقول سارتر: «الوجود يسبق الماهية»
ومن هنا جاء اسم: الوجودية.

الحرية ... وسوء الطوية :

وجودية سارتر ديكارتيه تماماً بطرق شتى. الذهن هو كل ما نحن على يقين منه، وهو يقابل باستمرار بين الحرية، وخيال الوعي البشرى وبين الموضوعات اللاواعية، غير الحرية مثل : قطاعة الورق. غير أن «الذات» عند سارتر ليست

ظاهرة استاتيكية نكتشفها من خلال «الفحص الذاتي» الديكارتي. إنها مشروع شخصي، علينا نحن أن نتحمل مسئولية تحقيقه.



الناس الذين لديهم سوء طوية سيحاولون الهرب منها بشتى الطرق. عن طريق التسلسل إلى دور اجتماعي يقومون به (أنا نادل (جرسون) وهذا هو مَنْ أكون») إنهم يتحولون إلى أشياء لكنهم يؤكدون كذلك حقيقة الحرية. لكن هل الحرية حقاً «شاملة» كما يتصورها سارتر؟ وهل «سوء النية» هو دائماً على هذا القدر من سوء؟.

الحياة السياسية الأصيلة:

في استطاعتنا أن نلاحظ لم كان الاختيار الأصيل على هذا القدر من الأهمية عند سارتر. لقد احتلت قوات النازي فرنسا ودخلت باريس عام ١٩٤١. وكان على كل فرنسي أن يقرر ما إذا كان سيتعاون مع النازي أو يقاومه، والتحق سارتر بالمقاومة وفي السنوات المتأخرة من حياته دافع عن استقلال الجزائر، ورفض جائزة نوبل. وكان يدعى باستمرار أن الماركسية، هي الفلسفة الوحيدة الصحيحة والشرعة للعالم الحديث.



لقد انهك سارتر طوال حياته في قتال ضد اللاأصالة الشخصية حتى لا ينزلق إلى دور سهيل تحت اسم «الفيلسوف الوجودي الشهير».

كامي والعابث :

ولد البير كامي (١٩١٣-١٩٣٠) في الجزائر، وكان صحفياً وكاتب مقال وروائي، وأنكر بدوره أن يكون وجودياً. غير أن دراسته للمغزى الانفعالي لما يعنيه القول بالعيش في «عالم عابث» بلا إله يُعد يقيناً إسهاماً للوجودية. ولقد أدى به التزامه بالمقاومة الفرنسية إلى الاقتراب الوثيق من سارتر. لكنهما اختلفا، بشدة في مسائل الشيوعية واستقلال الجزائر. كيف يمكن لك أن تؤكد المعنى في عالم لا معنى له ؟ لقد أوضح كامي ذلك في «أسطورة سيزيف»^(١) (١٩٤٣). لقد حكمت الآلهة على سيزيف أن يدفع صخراً من أسفل إلى قمة الجبل، غير أن الحجر يتدحرج سفلاً من جديد فيعود إلى دفعه ... وهكذا إلى الأبد. وقد بدأ كامي كتابه بسؤال :



ويستمر في قوله «الحكم بما إذا كان للحياة قيمة أم لا يرقى إلى مرتبة الإجابة عن السؤال الأساسي في الفلسفة» لقد اختار سيزيف في تحد، أن يضفي على عمله العابث معنى، وبذلك اكتسب معنى، وكذلك لا بد أن تفعل الموجودات البشرية في حياتها «العابثة».

(١) كان سيزيف في الأسطورة اليونانية مخادعاً خدع الآلهة أكثر من مرة لحكم عليه «زيوس» كبير الآلهة أن يقوم بدفع حجر ضخم من أسفل الجبل إلى قمته وما إن يصل إلى القمة حتى يعود الحجر إلى السطح من جديد ... وهكذا دواليك. ومن هنا أصبحت أسطورة سيزيف رمزاً للجهد العابث الذي لا نتيجة له. طالع الأسطورة بالتفصيل في كتابنا «معجم ديانات وأساطير العالم» للجلد الثالث ص ٢٥٨ - مكتبة مديبولي بالقاهرة عام ١٩٩٦ (الترجم).

الفلسفة التحليلية : مشكلة الرياضيات :

لدى الفلاسفة تلك العادة المزعجة، عادة طرح أسئلة في غاية البساطة لكنها كثيراً ما تحتاج إلى إجابات بالغة الصعوبة. فكل إنسان يعرف أن $4 = 2 + 2$ لكن الفلاسفة يسألون: لماذا؟ كان فيثاغورس مقتنعاً بأن الرياضيات هي مفتاح فهم كل شيء، واعتقد أفلاطون أن للأعداد نوعاً من الوجود الغامض المنفصل. وإحدى المشكلات التي شغلت بعض الفلاسفة التحليليين في القرن العشرين هي محاولة العثور على «أسس» الرياضيات في المنطق.



وذلك ما أخلق الفيلسوف التجريبي في العصر الفكتوري
 «جون ستوارت مل» الذي اعتقد أن اليقين الرياضى
 مصدره الحس وأنه يشبه كثيراً «الغذاء الحس» أو «الوجبة
 المحانية». فزعم أن من المرجح جداً أن تكون الرياضيات
 حقيقة استقرائية تقوم على أساس التجربة
 البشرية للعالم.



نحن نعرف أن $6=3+3$
 من ملاحظتنا للأشياء
 التي تجمع ثلاثياً.

غير أن معظم الفلاسفة
 يعتقدون أن ذلك خطأ.



انا نعتقد أن
 الرياضيات قبلية سابقة على
 التجربة، وأنها نسق «يحتوى على
 ذاته» وهو صادق باستمرار
 بغض النظر عن الموجودات
 البشرية وعالمها.



لكن لو صحَّ ذلك : فلماذا تزودنا الرياضيات باستمرار بصورة دقيقة عن كيف يعمل
 الكون ؟ تفسير كانط هو أن الرياضيات هي مثال آخر عن القضايا التركيبية القبلية -
 الرياضيات صادقة بالنسبة لنا على الدوام، لأن هذه هي الطريقة التي ركبت بها عقولنا.

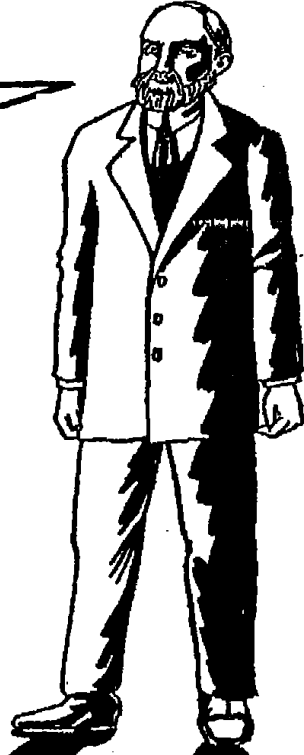
فريجة وإزالة السر عن الرياضيات :

عاش جو سكب فريجة (١٨٤٨-١٩٢٥) حياة هادئة منعزلة عن الناس، لكنه غير الفلسفة الغربية إلى الأبد بأن جعل المنطق أساس الفلسفة بدلاً من مشكلة «المعرفة»؛ فقد تخلى عن المنطق الاستنباطي التقليدي وأخرج منطقاً «صورياً» و«رمزياً جديداً». واعتقد أنه عن طريق استخدام هذا المنطق الجديد يستطيع البرهنة على الروابط العميقة بين الرياضيات والمنطق. لقد أزال فريجة السر عن الرياضيات بأن بين أن الأعداد ليست «موضوعات».



ثم بين «فريجه» كيف أن الرياضيات تحليلية أو «فارغة»

وعلى ذلك فإن $4 = 2+2$ تحصيل حاصل
وهي لا تعنى أكثر من $1+1+1+1 = 4$
ولا علاقة لها بملاحظتنا للعالم
أو كيف تتركب عقولنا.



كثيراً ما يقدم الفلاسفة العقليون
الرياضيات على أنها أعظم نموذج لأنواع
الحقائق الأساسية التي ينتجها العقل. إن
ازالة فريجه لغموض المعرفة الرياضية كان
حاسماً لأنه ساعد في تدمير الوهم القائل بأن هناك نوعاً من المعرفة الميتافيزيقية الخاصة لا
يستطيع اكتشافها سوى الفلاسفة.

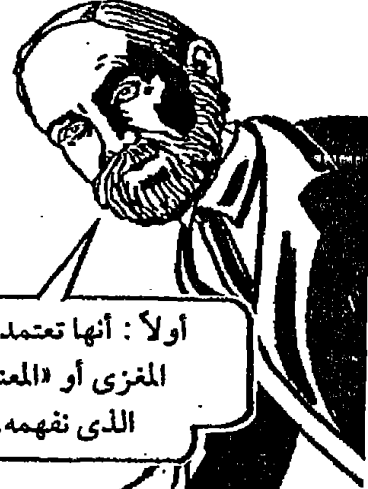
ويظل السر باقياً :

يبدو أن فريجة اقتراب جداً من حل المشكلة الفلسفية عن الحقيقة الرياضية ، إلا أن برتراند رسل في عام ١٩٠٣ اكتشف - لسوء الطالع - مفارقة في مذهب فريجة يبدو أنه لا يمكن حلها. كما بين «كيرت جودل» (١٩٠٦-١٩٧٨) أنه سيظل هناك باستمرار حقائق رياضية لا يمكن البرهنة عليها في أي مذهب منطقي متسق مع نفسه. فالنسق التصوري يمكن أن يكون متسقاً وكاملاً لكنه لا يكون الاثني معاً.



المعنى والمرجع (أو الإشارة) :

كان فريجة أيضاً أحد مؤسسى الفلسفة اللغوية الحديثة، فقد ساعد فى تغيير برنامج الفلسفة الحديثة، وتحويلها من مشكلة المعرفة إلى مشكلة ربما كانت أساسية أكثر هى مشكلة المعنى . ويشدد فريجة على أن لغة النحو اليومية، ليست مشكلة منطقية، وأن المنطق نفسه مستقل عن علم النفس. وللغة ذاتها وظيفتان مختلفتان.

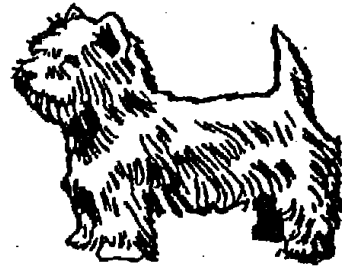


أولاً : أنها تعتمد على
المغزى أو «المعنى»
الذى نفهمه.

كلب



ثانياً : أنها تشير أو «تدل» على
الأشياء والتصورات



إن مغزى اللغة ظاهرة عامة تقوم على العرف ويمكن أن تتغير لكن الإشارة أو المرجع تدل على الصدق أو الكذب. ويستمر فريجة ليؤسس مذهباً معقداً فى المنطق يقوم على أساس هذا الاستبصار.

رسائل والذرية المنطقية :

برتراند رسل (١٨٧٢-١٩٧٠) مع ألفرد نورث وايتهيد (١٨٦١-١٩٤٧) عالجا أرضاً مماثلة للأرض التي عالجها فريجه في محاولة غير ناجحة للبرهنة على كيف أن أبسط الرياضيات لها أسسها المنطقية مثل $٢=١+١$ في كتابهما «برنكيبياس ماثماتيكا» (أو أصول الرياضيات) عام (١٩١٠-١٩١٣).



أما في تراث التجريبية الانجليزية المحترم فقد كان رسل من أتباع «الذرية المنطقية»، فقبد اعتقد أن أفضل طريقة لفهم العالم هي تقسيم كل شيء إلى مكوناته الفردية. ويمكن أن نبين بعد ذلك أن القضايا الفردية تشير إلى إحساسات فردية في الذهن، تسببها هي نفسها أجزاء ضئيلة من العالم.

تتلا نستطيع أن نكون على يقين إلا من الأشياء التي نعرفها بالتصالح المباشر نعرفها بالتصالح المباشر.

كل شيء آخر لابد أن يبنى بواسطة التركيب المنطقي من هذه المعطيات الأساسية.



فلا بد من كسر اللغة المألوفة وردها إلى صورتها المنطقية. إذا كانت ستصبح غير غامضة أو متناسبة. والمثال الجيد لكيف يحدث ذلك هو كلمة «يكون». ويقترح رسل ما يسميه نظرية «الأوصاف المحددة» مستخدماً مثلاً شهيراً هو «ملك فرنسا»، هو رجل أصلع الرأس». فما الذي تصفه هنا كلمة «هو»؟ ويمسك رسل بكلمة «هو» ويحللها تحليلاً منطقياً دقيقاً، يختلف اختلافاً تاماً عن تحليل «الوجود» عند هيدجر كما سنرى الآن.

التحليل المنطقي :

عبارة «ملك فرنسا هو رجل أصلع الرأس» عبارة غريبة؛ لأنها تشير إلى رجل لا وجود له. وحل «رسل» لهذا اللغز اللغوي. هو تفتيت العبارات اليومية إلى مكوناتها المنطقية، حتى يكون سهلاً أن نرى أين الخطأ كما يأتي :

- > هناك ملك حالي لفرنسا - خطأ
- > كل مَنْ هو ملك فرنسا فهو
أصلع الرأس
- > هناك ملك واحد فقط لفرنسا

ومن ثم فكلمة «هو» في العبارة الأصلية «ملك فرنسا هو أصلع الرأس». تتضمن خفية أن هناك ملكاً موجوداً في حين أنه غير موجود والتحليل المنطقي يكشف ذلك بوضوح. كذلك يكشف مثل هذا التحليل الفرق بين «معنى» العبارة وما تشير إليه.



ولقد اعتقد كل من فريجه ورسل أن الفلسفة المعاصرة لم يعد لها موضوع سوى أن تصبح «نشاطاً تحليلياً». فلا بد لفلاسفة القرن العشرين أن يكونوا «مناطقة» لا أن يكونوا عرافين ينقبون «في أعماق طبيعة الواقع». ولم يمنع ذلك رسل - اللورد الإنجليزي - من المشاركة في عدد كبير من المسائل الأخلاقية والسياسية في عصره.

الوضعيون المناطقة :

كان الوضعيون المناطقة - أو حلقة فينا - علماء طبيعة واجتماع أكثر منهم فلاسفة. موريس شليك (١٨٨٢-١٩٣٦) وأوتو نوراث (١٨٨٢-١٩٤٥) ورودلف كسارناب (١٨٩١-١٩٧٠) اعتقدوا أن الفلسفة بأسرها - لاسيما مثالية هيغل - لغو ميتافيزيقي فارغ.

عندنا أن المعنى وقابلية الاختبار
شيء واحد.



وهم يعتقدون أن «السطح النحوي» للغة قد أدى بالفلاسفة إلى منازعات لا حصر لها ولا حل حول كيانات خيالية مثل «الجوهر» عند اسبنوزا وليبنتز.

الوضعية المنطقية عند آير :

ولقد اعتقد الوضعيون المناطقة أنه ليس هناك شيء اسمه «المعرفة الفلسفية» - لأن الطريق الوحيد إلى المعرفة الحقيقية إنما يكون عن طريق العلم، ولا يمكن للفلسفة إلا أن تكون نشاطاً تحليلياً يوضح التصورات والغموض اللغوي. ولقد ذهب أ.ج. آير (١٩١٠-١٩٨٩) إلى فينا ليلتقى بهم في ثلاثينيات القرن العشرين وعاد تلميذاً لهم. وكتب كتابه «اللغة والصدق، والمنطق» عندما كان في السادسة والعشرين من عمره، ولقد صدم برفضه التقنى البارد «للدين» و«اللغة الأخلاقية» على أنها لغو فارغ - بعض أعضاء المؤسسة البريطانية.



اختبار المعنى:

كان على أعضاء حلقة فينا في النهاية - وهم جميعاً يؤمنون بالتسامح والتقدم العلمي - الفرار من عته ألمانيا النازية. أما شليك فقد أطلق عليه واحد من تلامذته المخبولين الرصاص فأرداه قتيلاً، وهي مسألة يفضل بعض أساتذة الفلسفة الصمت إزاءها.

ولقد انهارت نظرية المعنى - أو مبدأ التحقق من الصدق - إلى حد ما لأن قدراً كبيراً من العلم الحديث كان تصورياً ولا يمكن اختباره بطريقة المبدأ البسيط. علينا أن ننظر ونرى» فليس هناك مَنْ رأى «جزئ الذرة» quark فكيف يمكن اختبار مثل هذا الشيء؟ كما أن المعنى لا بد أن يسبق الاختبار، فهو ليس نتيجة للاختبار، إذ كيف يمكن لنا أن نختبر شيئاً ما لم نفهمه أولاً؟ ولقد تركت مشكلة المعنى هذه لفيلسوف آخر من فينا ليحلها بطريقة أكثر إقناعاً.



الذرية المنطقية عند فتجنشتين :

درس فتجنشتين (١٨٨٩-١٩٥١) الهندسة في البداية، ولقد أدى به اهتمامه بمنطق الرياضيات إلى أن يعمل مع برتراند رسل في جامعة كامبردج عام ١٩١١^(١). كان من عائلة ثرية موهوبة من فينا لكنها تعيش مأساة فقد انتحر ثلاثة من أشقائه. أما هو فقد كان معلماً ساحراً، نافذ الصبر، ملغزاً، انتهى إلى رفض التدريس الأكاديمي للفلسفة بوصفه عديم النفع. كما كان رجلاً متديناً بطريقته الخاصة، غير الفلسفة الغربية إلى الأبد، كما خدم في جيش النمسا أبان الحرب العالمية الأولى.



بدأت في الخنادق في تطوير
نظريتي في اللغة والمنطق.

ونشر في عام ١٩٢٢ كتاباً قصيراً مكثفاً صعباً

هو «رسالة منطقية فلسفية»^(٢)

(١) قبل طالباً عادياً في كلية ترنتي بجامعة كامبردج، ثم طالباً بالدراسات العليا - راجع كتاب الدكتور عزمي إسلام عن «فتجنشتين» في نوايغ الفكر الغربي (الترجم).

(٢) ترجمه الدكتور عزمي إسلام وراجعه الدكتور زكي نجيب محمود ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٦٨ (الترجم).

وتبدأ الرسالة بهذه الكلمات : «العالم هو جميع ما هنالك». ولقد تبني فثجشتين في البداية «الذرية المنطقية» عند رسل التي تذهب إلى أنه لا بد من تفتيت العبارات لكي نكشف عن تعقيدها المنطقي. وقد حاول أن يبين أن المعنى يستمد تماماً من عبارات منطقية ذرية تشكل صورة دقيقة لما يسميه بطريقة مريكة «الوقائع الذرية» عن العالم.



وهذه المقدمة تعني أن هناك حدوداً لكل أنواع الأفكار ذات المعنى التي يمكن أن نجدها في اللغة. ولا تنشأ المشكلات الميتافيزيقية إلا بسبب محاولات الفلاسفة المستمرة «أن يقولوا ما لا يمكن أن يقال» ولهذا تنتهي الرسالة بهذه العبارة «ما لا يستطيع الإنسان أن يتحدث عنه، ينبغي عليه أن يصمت عنه».

معنى المعنى :

تخلى فتجنشتين بعد ذلك عن محاولته «الذرية» الأولى لكي يحل «مشكلة المعنى». وبدأ يتساءل عن جميع البحوث الفلسفية التقليدية عن العمومية أو «الماهيات»، وهذا المنظور الجديد المختلف تماماً هو تفكير وصفي، ثم نُشر له في النهاية، كتاباً بعد وفاته هو «بحوث فلسفية» عام ١٩٥٣ (١).

البحث العظيم في القرن العشرين عن
«معنى المعنى» عقيم لأنه مؤسس على
تصور خاطئ يقول: إن معنى شيء
ما منفصل عن اللغة.



هذا ليس فيلسوفاً.

ولذلك فلما كان هناك كلمة مفيدة عن تصور الفن، فليس ثمة مبرر للبحث في «الشيء الجوهرى» الذى يضاف على كلمة «الفن» معناها، أو كيف يوجد هذا التصور فى الذهن.

إن الناس يستخدمون كلمة «الفن» فقط لتشير إلى كثير من الأنشطة المختلفة والأعمال الفنية التى تشترك فى «تشابه الأسرة الواحدة».

(١) ترجمة الدكتور عزمى إسلام ونشرته جامعة الكويت (المترجم).

الألعاب اللغوية :

اللغة سلسلة من أنواع مختلفة «من الألعاب» لكثير من الأغراض والأهداف المختلفة، والمعنى هو نتيجة العرف الاجتماعي المتفق عليه بين الناس، أنتجت أشكال الحياة، ولا يمكن أن تقوم لها قائمة «خارج اللغة». وهذا يعنى أن اللغة مستقلة ذاتياً، وتنتشر فى العالم بحرية. لقد تبنى فثجنشتين نظرة علاجية للخطاب الفلسفى الذى اعتقد أنه نوع من المرض. إن إنتاج اللغة «يتم يوم الإجازة» لدرجة أن اللعبة اللغوية الواحدة تختلط باللعبة الأخرى.



أفكار خاصة :

فلسفة فتجنشتين المتأخرة عن الذهن هي أيضاً معارضة للفلسفة الديكارتية. فهو يعتقد أن الفكر لغوى. واللغة هي نتاج اجتماعي، ومن ثم فإن الوعي لا يمكن أن يكون «خاصاً». وهذا يعني أن سعى «الشخص الأول» الفينومينولوجي عن «اليقين» قد أسبىء تصوره. لقد كان ديكارت وعدد من الفلاسفة من تلاميذه يقنعون دائماً بأن تجارب الشخص الأولى هي بطريقة ما أكثر «مباشرة» وبقينا من تجاربه الأخرى. غير أن الحديث أو الكتابة عن التجارب الذهنية يعني استخدام لغة عامة ذات قواعد متفق عليها اجتماعياً تضع في آن واحد المعنى والإشارة.



نظرية فرويد عن اللاشعور :

الحل «العلاجي» الذي وضعه فتجنشتين لأمراض الفلسفة اللغوية ملدين بشيء ما لمفكر نمساوي آخر هو «سجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) مؤسس التحليل النفسي. نظرية فرويد المؤثرة غاية التأثير عن بناء اللاشعور الجنسي، انبثقت من فسيولوجيا الأعصاب، ومن الممارسة الإكلينيكية. غير أن الفكرة التي تقول: إننا كثيراً ما لا نشعر بعملياتنا الذهنية، كانت معروفة بالفعل عند فلاسفة القرن التاسع عشر من أمثال شوبنهاور. ولقد ذهب فرويد أبعد من ذلك فافتراض أن الحضارة نفسها لم تكن ممكنة إلا بكبت الدافع الجنسي على مستوى لاشعوري، وهي وجهة نظر قوضت السعي الفلسفي وراء عقلانية موضوعية.



فلسفة اللغة المألوفة :

اعتقد فتجنتشتين أن المهمة العلاجية للفيلسوف المعاصر هي أن يبين للذباية طريق الخروج من الزجاجا. أو أن يبين أن معظم المحيرات والألغاز الفلسفية ليست سوى نتيجة للخلط والغموض اللغوي. ج.ل. أوستين (١٩١١-١٩٦٠) الأستاذ في جامعة أكسفورد في فلسفة اللغة المألوفة أو اللغة الجارية، قد فتح الكثير من «الزجاجات للذباية» اللغوية. وكان المهم عنده أن يفحص بالتفصيل كيف تُستخدم أفكار مثل «الإدراك الحسي» و«المعرفة» في لغة الحديث الجارية. ولقد أدخل «أوستين» مفهوم أفعال الكلام الأداة. وهذا يعنى بإيجاز أننا لا نقول شيئاً ما فحسب، وإنما نفعل شيئاً ما، فلو أتت قلت لشخص ما: «يبدو أنها ستمطر» فإننى أقوم بسلسلة من الأفعال.



فلسفة العلم :

قسمة الفلسفة إلى فلسفة «تحليلية» وفلسفة «القارة» هي - كما رأينا - أبعد ما تكون عن الدقة والتحديد. وهي على أية حال أقل أهمية من الاعتراف بأن العلم يبدو أنه كُتبت له السيادة في القرن العشرين، فالعلماء - وليس الفلاسفة - قد غيروا طريقتنا في الحياة، ومعرفتنا للعالم، وآراءنا عن أنفسنا.



هناك جميع أنواع العلماء يرتدى بعضهم معاطف بيضاء، ويستخدم أجهزة تكنولوجية للرؤية غالبية الثمن، وبعضهم الآخر يكتب على السبورة مادة رياضية لا يمكن فهمها. لكن يعتقد عموماً أنهم جميعاً علماء، لأنهم يستخدمون نوعاً ما من «المنهج» العلمي الخاص الذي ينتج نوعاً **فريداً** من المعرفة. ويعتقد عادة أن المعرفة العلمية معرفة «كلية»، ويمكن أن تكتم؛ «لتجريبية» ذات قوة تنبؤية، فصفحة العالم ينبغي أن تكون قادرة أن تنبئنا بشيء عن جميع الضفادع.



المنهج الاستقرائي :

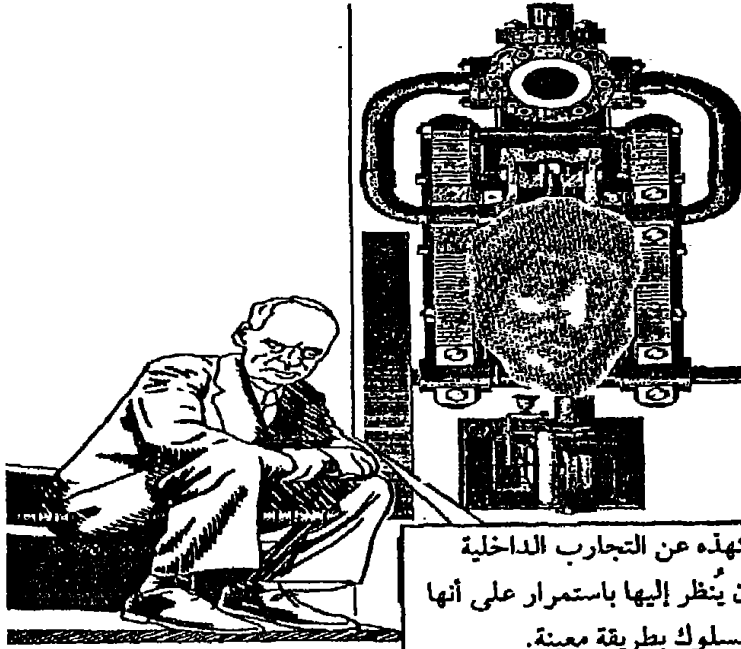
وعلى ذلك، فمن أين يحصل العلماء على نظرياتهم ؟ الاستقراء هو أحد «المنهج» العلمية الواضحة. فالعلماء الذين يلاحظون ويختبرون كمية كبيرة من الضفادع وهي تسبح وتمشي في ظروف مختلفة، ثم يتتجون في النهاية «نظريات عن البرمائيات». لكن الفيلسوف ديفيد هيوم أكثر منذ أكثر من مائتين من السنين ذهب إلى أن الاستقراء لا يقدم سوى الاحتمال وليس اليقين.



لكن هل الرؤية هي البرهنة ... ؟ إن ما نراه كثيراً ما يكون متأثراً بظروف ثقافتنا وتربيتنا، فمن الصعب أن نهرب من أحكامنا السابقة عن العالم. ومن المستحيل كذلك أن نصف ما نراه في لغة تكون «موضوعية».

التشبيح في الآلة :

كان جلبرت رايل (١٩٠٠-١٩٧٦) فيلسوفاً مؤثراً آخر، من جامعة اكسفورد. وصل كذلك إلى نظرة موازية للتصورات المألوفة، من خلال التجريبية البريطانية، كما كان له اهتمام بالظاهريات عند برنتانو وهوسرل. وكثيراً ما يرتكب الفلاسفة ما يسميه «رايل» قائمة أخطاء في كتابه «مفهوم الذهن» (عام ١٩٤٩). والمثال الشهير هو أسطورة ديكارت للذهن (النفس) الذي لا جسم له، ولديه أفكار خاصة، وذلك يشبه «الشيح في الآلة»^(١).



إن أحاديثاً كهذه عن التجارب الداخلية الخاصة، لا بد أن يُنظر إليها باستمرار على أنها ميل للسلوك بطريقة معينة.

لقد اعتنق رايل نظرة سلوكية من الناحية الفلسفية تقول: إن المصطلحات الذهنية لا بد أن تترجم باستمرار إلى إحساسات فزيقية. وهذه النظرة السلوكية للغة والمعنى، ربما كانت مقنعة، إذا كان كل حديث عن الإحساسات والأفكار يشير دائماً إلى تلك الإحساسات والأفكار عند الآخرين. وذلك يعني أنه غير مقنع كتفسير.

(١) تعبير «الشيح في الآلة» أو «الالة في الآلة» مستمد من المسرح اليوناني عندما كانت تتعقد أحداث المسرحية فيهبط تمثال للإله بجبل من سقف المسرح ليقوم بحل العقدة، وأصبح الآن يستخدم للدلالة على الحل الخرافي لحل المشكلة المعقدة (الترجم).

ليست الرؤية عبارة عن تقبل سلبي للمعطيات الحسية، لكنها عملية أشد تعقيداً فهي مركبة من عمليات: الاستقبال، والانتقاء، وتصنيف المعلومات.



وما لاشك فيه أن لدى علمائنا بعض الافتراضات السابقة عما تكونه الضفادع، وماذا تعنى السباحة، وكم عدد الضفادع التي يحتاجون إلى رصدها ... إلخ. قبل أن يخرجوا لنا نظرياتهم الجديدة. فأى علم يقوم على الاستقراء لن يكون أبداً علماً يقينياً، وستكون لديه باستمرار مشكلة مع أساسه التجريبي البشري المشكوك فيه.

ظرية التأكيد :

لقد ذهب كارل بوبر (١٩٠٢-١٩٩٤) إلى أن «نظرية التأكيد» سوف تكون طريقة في التفكير معقولة أكثر حول الإجراءات العلمية، ففي رأيه أن النظريات العلمية لا بد باستمرار أن تكون مؤقتة، فالعلماء الحقيقيون لا بد أن يقترحوا على الدوام طرقاً يمكن بواسطتها «تأكيد» نظرياتهم، بملاحظات جديدة مناقضة.



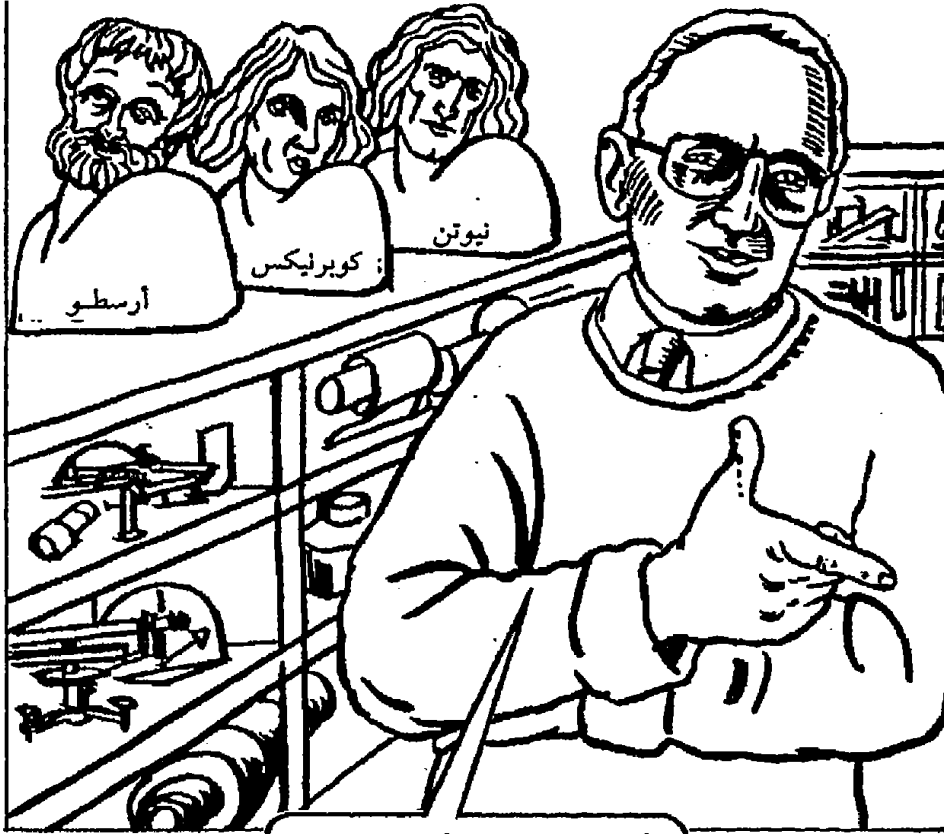
غير أن التكذيب بوصفه منهجاً علمياً مشاكله الخاصة. فإذا كانت ملاحظتنا للعالم هي ذاتها باستمرار «مثقلة بالنظرية»، فلماذا تبطل ملاحظة واحدة في الحال نظرية علمية معقدة؟ وكيف يمكن لنا أن نعرف أيهما نثق به؟ إن النظريات العلمية معقدة، ويعتمد بعضها على بعض. وعلى ذلك فليس من السهل باستمرار تكذيبها، بملاحظة مفردة. ويكشف لنا التاريخ أيضاً عن علماء كثيراً ما كرهوا التخلي عن نظرياتهم المفضلة لأن ملاحظة واحدة تناقضها، ولقد كانوا، في بعض الأحيان، على حق تماماً في عنادهم - لكن ليس دائماً.

ولقد أنهكت نفسي لسنوات
طويلة في محاولة دحض
استبصارى الثورى الخاص
عن المادة والإشعاع.



توماس كون :

كان العلم عند «بوبر» أشبه بالمصعد الشارد وإن كان منظماً، بحركة العقل (الذي يتقدم بالتدرج نحو تراكم «الحقيقة» العلمية. ولقد تحدى توماس كون (ولد عام ١٩٢٢) هذه النظرة التقدمية الساذجة للعلم، ونظر بإمعان في تاريخ العلم وتساءل : كيف يمكن لأى جماعة من العلماء أن تمارس فعلاً عملها فى فرعها الخاص ؟



أصبح من الواضح أن نظرية جزئية واحدة أو نموذجاً يؤخذ كأمر مسلم به باستمرار على أنه طريق سليم لفحص العالم.

غير أن النماذج تتغير تغيراً جذرياً. أو «تبدل» فى مجرى التاريخ، فقد كانت النماذج الكسملوجية : «أرسطية، وبطليموسية، وكوبرنيكية، ونيوتنية» والمتداولة الآن أينشتينية.

فلماذا ، إذن، تغيير النماذج ؟ لأن النموذج سوف تتراكم معه الألغاز بغير حل، وليس الحقيقة، التي تنشأ من تحديات يطرحها العلماء أنفسهم. فمزايم جاليليو أو أينشتاين أوصلت النماذج السائدة في عصرهما إلى أزمة.



أنظمة الإيمان العلمى حول الأجرام السماوية أو أشعة الضوء سوف تنهار إذن، وسوف تكون عاجزة عن أن تتكيف مع الأفكار الجديدة. ويصر كون على أن تقدم العلم إنما يتم على شكل تغييرات ثورية مفاجئة، وليس عن طريق بعض العمليات التطورية المنهجية. ولا يختلف الإيمان العلمى عن الإيمان الدينى. فالعلم الجديد لا يقبل قوة الإقناع بشواهد جديدة مثيرة، بل بسبب أن العلماء القدامى يموتون، ويحل محلهم علماء من الشباب.

الفوضوية الأبيستمولوجية :

شعر العلماء أن «كون» يهدد عقلانية العلم وتقدمه، والأمر ليس كذلك، بل ربما كان معظم النقد الجذري للعلم هو الذى وجهه التمساوى المولد «بول فير بند» (١٩٢٤-١٩٩٤) فهو فى كتابه «ضد المنهج» عام ١٩٧٤، وهو يفسر تطور العلم، يشدد على كثرة من النظريات المتنافسة أو ما أطلق عليه اسم «الفوضوية الأبيستمولوجية»



إذا ما كان يمكن أن يقال: إن العلم يتقدم على الإطلاق، فذلك بفضل العلماء والهاثمون الخارجون عن الجماعة والذين يعملون ضد المناهج القائمة.

فمن الحمق أن نتوقع أن العلم الذى هو خلأق لكونه من الناحية الداخلية متكثراً وفوضوياً، يمكن أن تحكمه مجموعة من القواعد المنهجية المحددة التى يمكن اكتشافها، وفضلاً عن ذلك فليس هناك ما «يسمو» أساساً على المعرفة العلمية.

من الحداثة إلى ما بعد الحداثة :

تبدأ الفلسفة الحديثة بمحاولة ديكارت اكتشاف حقيقة مؤكدة ويمكن التحقق منها أساس تجريبي ولا أهمية للقدر الذي يمكن التضحية به من الواقع بأهدافه العملية. وعنده أن هذا الأساس لا بد أن يكون «الكوجيتو Cogito» «أنا أفكر، إذن، أنا موجود».



وتصاعدت الشكوك في وجود الذات، والحقيقة الموضوعية، ومعنى اللغة منذ ديكارت، ويمكن التعرف عليها في «أزمة» المعرفة التي تسمى الآن بحالة ما بعد الحداثة.

ثلاث «إذا» كبيرة لما بعد الحداثة :

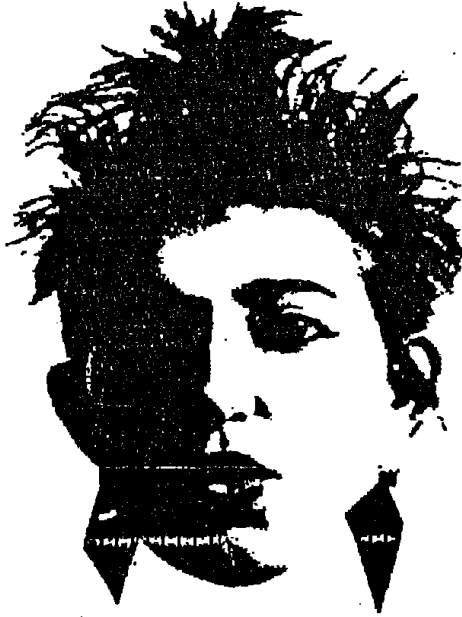
ربما كان في استطاعتنا أن نفهم فلسفة ما بعد الحداثة على نحو أفضل على أنها تسيطر عليها ثلاث «إذا» كبيرة هي كالآتي :

- إذا كانت الأفكار البشرية لم تعد مضمونة على أنها أفكارنا نحن ...

- إذا كانت اللغة التي نفكر بها لا يمكن أن تشير بطريقة ذات معنى إلى العالم الذي يقع خارج ذواتنا ...

- إذا كانت معاني الدلالات اللغوية المستقلة ذاتياً تتبدل باستمرار ...

فلا بد إذن أن نحمل أنباء سيئة للفلسفة ، والمنطق ، وحتى للعلم نفسه ...



نيتشه : وهم الحقيقة :

بذور النزعة الشكية لما بعد الحدائة كانت موجودة باستمرار داخل الفلسفة الغربية، حتى منذ «اقراكليوس» الذى رفض أن يتكلم لأنه كان يعتقد أن معانى كلماته لا يمكن أن تستقر على حال، ويمكن أن نجد الأب المعاصر والأشد وضوحاً لما بعد الحدائة وأعنى به: نيتشه، الذى أصرّ على أن اللغة لا يمكن إلا أن تكون دائماً مجازية.



كان نيتشه يعتقد أن ما نحسبه «معرفة» ما هو ببساطة إلا الأقوى المفروض على كل شخص آخر. علينا أن نحترس من القصص الخيالية الخطرة التي تضع معرفة ذاتية بلا ألم، وبلا زمان، وشراك المفاهيم المتناقضة مثل «العقل الخالص» و«المعرفة في ذاتها».

اللغة والواقع :

النزعة الشكية لما بعد الحدائة ليست مجرد نزوة، لكنها نتيجة ضرورية لمسار التاريخ، لقد رأينا الكثير من الحجج المعقدة عن اللغة، والمعنى، والمعرفة في رحلتنا في الفلسفة الغربية. وهناك ثلاثة فلاسفة معاصرين مختلفين أتم الاختلاف هم : هيدجر، وفتجنشتين، وجاك دريدا كانت لديهم شكوك حول العلاقة بين اللغة والواقع.



ما الذى يقولونه حقاً...؟

هيدجر : بوصفنا موجودات بشرية، فلن نستطيع أبداً أن نفصل بين اللغة والواقع.
فتجنشتين : ليس ثمة سوى «ألعاب لغوية» محلية، والفلسفة الغربية مثال على ذلك.
دريدا : اننا نستخدم اللغة للتفكير والاتصال. لكن ليس لدينا طريقة موضوعية نعرف بها علاقاتها بأى «واقع» خارجها. فأفكارنا تقع فى «شراكها».

ننسق الإشارات :

فرديناند سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) عالم لغويات سويسرى هو الذى أسس البنيوية وعلم الرموز والعلامات، فقد تخلى عن البحث فى «معنى» اللغة، واختار بدلاً من ذلك وصف وظيفة استخدامها، فالمعنى اللغوى لا يستمد من الأشياء المناظرة «هناك فى الخارج» بل من العلاقات بين الإشارات ذاتها ووضعها داخل نسق الكلمات الدالة.



أو كما يقول سوسير فى عبارة أخرى : «لا يوجد فى اللغة سوى فروق واختلافات بدون الفاظ محددة».

البنياويون :

أهم «سوسير» نقاد البنيوية في ستينات القرن العشرين، لاسيما في فرنسا، الذين بدءوا في دراسة الفلسفة بوصفها شكلاً معيناً من أشكال «الخطاب» بين أشكال أخرى. وكل خطاب يشارك في نسق الإشارات الذي تكون فيه السمة البنائية الرئيسية رمزاً «لأضداد ثنائية» فمثلاً مفهوم «النفس» يستمد مغزاه من ضده «الجسم»، كما يستمد «النور» معناه من «الظلمة»، و«الطبيعي» من «الثقافي» ... إلخ. ويؤكد عالم الأنثروبولوجيا كلود شتراوس (ولد عام ١٩٠٨) أن نسق الرموز الثنائية يعمل في جميع الثقافات على أنه منطقها الشائع.



رأى البيويون أن العالم منظم في أنساق متشابكة ومرتبطة «ببني عميقة» وراثية لها «نحوها» القابل للتحليل. وهذه النظرة طرحها في أواخر الستينيات مفكرو «ما بعد البنيوية» رولاند بارتيز (١٩١٥-١٩٨٠) وجوليا كريستفا (المولودة عام ١٩٤١)، وبصفة خاصة جاك دريدا (المولود عام ١٩٣٠).



وظيفة الناقد أو الفيلسوف هو التعرف على نسبة «التفويت» في المعنى، و«قراءة النص في مقابل نفسه».

دريدا والتفكيكية :

الدرس الذى قدّمته ما بعد البنيوية طُبّق على النصوص الفلسفية. وكانت استراتيجية دريدا هي «التفكيك»، وهو ليس منهجاً، لكنه يشبه كثيراً العلاج بالمعنى الذى استخدم فيه فتجنّشتين هذا اللفظ، فهو لا يسعى إلى «المعنى الحقيقى»، إلى الوحدة، بل إلى الكشف عن المعانى المتعددة التى هي فى حرب لا شعورية بعضها مع بعض فى النص. وما يُعرض على أنه «لاشعورى» هو الأقطاب الثنائية التى تدعم الافتراضات الميتافيزيقية.

أحد العناصر فى أى تضاد ثنائى

هو باستمرار يمتاز

على الآخر.

الرجل - المرأة
النور - الظلمة
العقل - العاطفة
الحضور - الغياب

المصطلحات المميزة «تنزلق» إلى المذاهب التى تنتج هيراركية (تصاعدية) اجتماعية وثقافية.

مركزية اللوجوس Logocentrism (1)؛

تتنبأ التفكيرية عن التناقضات الداخلية والتفاوت في المعنى في أى نص لتذكرنا أن «المعاني» الجارية هي فحسب تلك التي تقيمها الأيديولوجيات السياسية والثقافية السائدة. والمشكلة في رأى دريدا هي مشكلة «الهوية الخاطئة» فقد افترض الفلاسفة باستمرار أن الكلمات توصل المعنى وأنها حاضرة في الذهن بلا غموض أو التباس.



والخطأ هو افتراض أن هناك شيئاً «خارج» النص يُضفى عليه معنى واحداً محددًا.

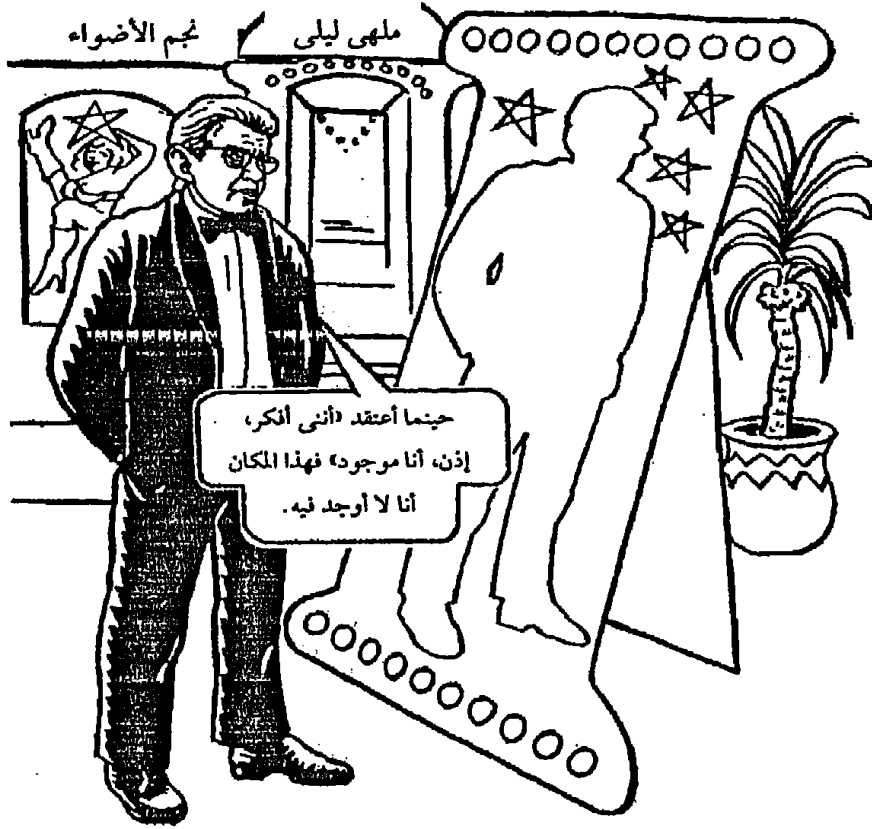
والمعنى لا يتحدد أبداً بل هو مؤجل على الدوام.

تعتمد الفلسفة على علاقة واحد - بواحد بين الكلمات والمعاني كضمان للحقيقة، وذلك هو خطأ التركيز على اللوجوس Logocentrism التي تستطيع - في رأى دريدا - أن تصنع «لغة العقل» وهي سلطوية تستطيع أن تقهر وتستبعد كل ما هو مختلف أو غير مناسب.

(1) مركزية اللوجوس (من الكلمة اليونانية لوجوس Logos التي تعنى الكلمة) - مصطلح ظهر في الفلسفة اللاعقلية على يد الفيلسوف الألماني «لودفيج كلاجز» (1872-1956) الذي كان من رواد المذهب الحيوي - واللاعقلانية التي تأثرت بالفلسفة الرومانسية ونيشيه. وهو يعنى به الموقف العقلي والعلمي والآلى الفحل، الذي لا يكثرث - أو يعادى - كل شيء حتى نابض متدفق بالحياة. وهو يعنى عند جاك دريدا الافتراض المنتشر - لكنه خطأ - الذي يقول: إن الكلام يسبق الكتابة. ويشك دريدا من أن الكتابة مكتوبة في الفكر الغربي. ويكمن الخطأ في افتراض أن هناك شيئاً خارج النص هو الذي يُضفى عليه المعنى المحدد، وهو افتراض شائع في كل صور المذهب المثالي (المتوجم).

الذات غير الموجودة :

سدّد «دريدا» ضربة إلى «مذهب الأساسيات» وهو مذهب يرى أن هناك معتقدات أساسية مبررة ذاتياً. وصخرة القاعدة التي تمثل الاعتقاد الأساسي في الفلسفة الحديثة هي «كوجيتو» ديكارت. ولقد ذهب عالم التحليل النفسي جاك لكّان (١٩٠١-١٩٨١) إلى فكرة مزعجة تقول: إن «الذات» افتراض مختلق. يقوض البحث الديكارتى والفينومينولوجى عن اليقين الذى يضرب بجذور فى ذات أساسية. إن الهوية الخاصة والفريدة ليست سوى وهم مفيد يزودنا بالإحساس بالأمان ويضفى معنى مترابطاً إلى حد ما على تجاربنا التي تتبدل وتتغير.



ويزعم «لكّان» أن أعمق جزء فينا، اللاشعور، مبنى مثل اللغة، وإلى أن يصل الطفل إلى اكتساب اللغة، يدخل العالم الاجتماعى ويصبح «أنا».

نهاية الحكايات العظيمة :

وما بعد الحدائنة تأخذ الفلسفة أيضاً إلى آفاق التاريخ الاجتماعى والسياسى. وفى هذا السياق نجد جان فرنسوا كويتارد (١٩٢٤-١٩٩٨) يقوض أسطورة «أساسية» أخرى حاسمة وهى: فكرة التقدم نفسها التى كانت منذ عصر التنوير أحد المبادئ التى يطبقها العقل. ولقد ورثت الحدائنة فى القرن العشرين بسذاجة وبطريقة مشثومة - إيمان عصر التنوير «الحكايات العظيمة» عن التحرر، وثناء الخلق والحقيقة الكلية. ويذهب كويتارد فى كتابه «وضع ما بعد الحدائنة» (عام ١٩٧٩) إلى أن هذه الحكايات العظيمة» عن تنظيم المجتمع تنظيماً عقلياً قد انهارت.



لقد عانينا من الفاشية، ثم رأينا نهاية الشيوعية، ونشاهد الآن أساليب المافيا فى الاقتصاد، وجشع السوق الحرة، والكوارث البيئية على اتساع هائل. وإذا كانت هذه هى النتائج النهائية «للعقل الموضوعى» فلا بد أن يكون فيه شىء خطأ.

فوكو : لعبة السلطة :

ولقد ذهب ميشيل فوكو (١٩٢٦-١٩٨٤) وهو مفكر رئيسي آخر من مفكري ما بعد الحداثة إلى أبعد من ذلك. ففي رأيه أن القوة والمعرفة متواطئان بالتبادل في ارتكاب الجريمة، فأنظمة الضبط الاجتماعي قد تطورت جنباً إلى جنب مع العلوم الإنسانية منذ عصر التنوير في القرن الثامن عشر. واشتركت الفلسفة أيضاً في لعبة السلطة هذه، سلطة السيطرة على الآخرين بتهميشهم.



إن «المعرفة» المؤسسة هي أداة السلطة التي تعالج «المجنون» و«المجرم» و«الشاذ جنسياً».

عالم الواقع المغالى فيه:

قدّر مفكرو ما بعد الحداثة قيمة العديد من وجهات النظر،
وتحدّوا على الدوام جميع الأنظمة المشروعة، وكثيراً ما يكون
العالم الذى يقدموه لنا هو عالم من شذرات، عالم الواقع
المغالى فيه، عالم الكابوس، على نحو ما وضع نظريته جان
بودريار (المولود عام ١٩٢٩).

نحن نعيش فى عالم مغالى فى
واقعيته وهمى، بين إشارات ليس
لها أى علاقة حتى بالسطح
المؤقت «للاواقع».

الذى ربما فسر لنا لماذا
تكافح فلسفة «ما بعد الحداثة»
لتبدو هازلة، مازحة،
ساخرة.

لقد أصبحت الفلسفة تهجو نفسها ومن
هنا جاءت وجهات نظرها المتعددة
المشوشة، التى تلفت الانتباه عن عمد
لانزلاقها فى دلالاتها التى تطوف بحرية
ليست دائماً واضحة أو مسلية للقراءة.

لكن كيف يمكن لما بعد الحداثة أن تفلت
من المفارقة المألوفة لتواجه جميع
الشكاك؟!
كيف يمكن أن تدعى العقل دون أن
تعتمد على الحد الأدنى من العقل...؟

ماذا عن العلم ؟

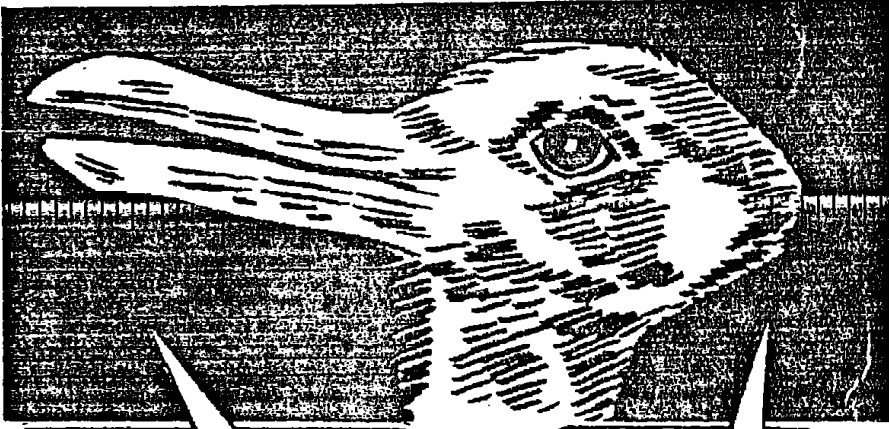
ليس ثمة فرع من المعرفة البشرية يقلت من هذه النسبية الراديكالية اللاذعة. العلم والمنطق متهمان على نحو متشابه بأنهما «منشآن» - فهما مجرد تأويلات للتجربة؛ ليس ثمة واقع كلي لا زمان له، ولا معرفة يقينية به كذلك.



معظم العلماء المعاصرون يتهربون الآن بلباقة عندما يسألون عن «الحقيقة» العلمية. لأنهم يعترفون أن المعرفة العلمية هي دائماً مؤقتة. وربما اعترف الكثيرون أنهم لم يعودوا يؤمنون بطبيعة منظمة «بقوانين» ثابتة يكشفها علماء موضوعيون. فنظرية أينشتاين في النسبية. ونظرية «بور» في الميكانيكا الكمية - ومبدأ اللايقين عند هايزنبرج، ذلك كله جعل دور الملاحظ مركزي وأساسي للمعرفة العلمية، وإذا كان "كون" على حق فإن العلماء يشبهون المؤمنين بالدين أكثر من أن يكونوا باحثين محايدين، فالعلم عندهم تتوسطه النماذج المركزية لمجتمعهم والتي نادراً ما تكون عرضة للشك. وتلك هي وجهة النظر النسبية ... لكن هناك وجهة نظر أخرى ...

النظرة الواقعية :

لكن ليس كل العلماء أو الفلاسفة مقتنعين بالنزعة الشكية لما بعد الحدائة. فكثيرون منهم لا يزالون يرفضون تماماً النظرة التي تقول ان المعرفة العلمية التي تظهر على «يد» العلوم الطبيعية، ليست سوى «خطاب بين خطابات أخرى» أو «منشأ» اجتماعي يرتبط بنظرة غريبة خاصة إلى العالم.



العلم الجيد هو دراسة منظمة صارمة للطريقة التي تعمل بها الطبيعة. ذلك أمر واقعي وحقيقي.

إنه نتاج للعلماء الذين يأخذون حذرهم التام من الخداع الذاتي أو الأحكام المبسرة وذلك أمر واقع وحقيقي

لا أحد يمكن أن يفكر أن المناهج التجريبية تؤدي بنا إلى أشياء طيبة في ميدان الكسمولوجيا، وعلم الوراثة، وميادين أخرى كثيرة، وربما كانت الأميال، والثواني، وفعل القياس هي «بناءات اجتماعية» لكن سرعة الضوء وهي واقعة علمية حقيقية تماماً تبقى في عناد ١٨٦، ٢٨٢، ٣٤ ميلاً في الثانية، مستقلة عمّن يعرفها ولن تضيع هباء.

راقب هذا الفضاء !!

لمحة عن الفلسفة الغربية :

المنطق، واللغة والمعنى
والفكر

بارميندس:

أهمية العقل

أرسطو:

المنطق الاستنباطي

أبيلارد:

الاسمية والكليات

الفلسفة التحليلية

فريجه ورسل:

المنطق الرمزي والرياضيات

المعنى والاشارة.

الذرية المنطقية:

المعنى مستمد من امكان

الاختبار.

فتجنشتين:

سحر اللغة والألعاب

اللغوية

أوستين:

اللغة الجارية وأفعال الكلام

ش. بيرس:

مبحث الرموز

البنياويون:

لفي شتراوس

مابعد البنيوية:

بارتيز

المعرفة التجريبية بالعالم
الخارجي

أفلاطون:

نسخ من الدرجة الثالثة

لا يوثق بها.

أرسطو:

الملاحظة والاستقراء

فرنسيس بيكون:

الاستقراء والعلم

ديكارت:

الحواس لا يمكن الثقة بها

التجريبيون البريطانيون

لوك:

الكيفيات الأولية والثانوية

باركلي

ليس هناك عالم «خارجي»

(المثالية)

هيوم:

معرفتنا سيكولوجية أكثر

منها منطقية.

الأخلاق:

السوفسطائيون:

النسبية

نظرية العقد

سقراط: الفضيلة علم

أفلاطون: الخير وخبراء

الإبيستمولوجيا: ماذا يمكن
أن تعرف؟ وبأي درجة من
اليقين؟

المعرفة «القبليّة»

بالتصورات، والأفكار

والعقول:

أفلاطون: الرياضيات،

الصور، الفطرية، اليقين

ديكارت: يقين الفكر

الواعي، الرياضيات والله

كانط: المثالية الترنسندنتالية:

تجربتنا بالعالم مبنية بواسطة

جهازنا التصوري الفطري

هيكل: ستكون المعرفة

البشرية باستمرار دينامية،

تاريخية

البرجماتية الأمريكية:

بيرس، جيمس، ديوي

لا بد أن تكون للمعرفة قيمة

فورية

فلسفة العلم

بيور: نظرية التكذيب

كون: النماذج

فيرباند: ضد المنهج

الظاهريات

برنتانو، وهوسرل

التقصي عن الوعي

هدجر وسارتر

لكي تكون موجوداً بشرياً

فهناك أكثر من الوعي

السياسة الطبيعة البشرية

السلطة والحقوق

أفلاطون:

الدكتاتورية المعتدلة

أرسطو:

الديمقراطية زائد الرق

ميكافللي:

حكام لايرحمون

هوبز:

العقد الاجتماعي

روسو:

الإرادة العامة

هيجل:

الدولة البروسية

ماركس:

الصراع الجدلي

حرامشي، وماركيز وفوكو

سلطة الدولة

الأيدولوجية

مايعد الحدائنة:

اللغة ، تحتوي على ذاتها

نسق اعتباطي من الاشارات

الأخلاق

أرسطو:

الأبيقوريون والرواقيون

الأخلاق مهارة عملية

اللاهوتي المسيحي

الأمر الإلهي

هوبز:

بين ما هو كائن وما ينبغي

أن يكون «هوة» فلا يمكن أن

تكون هناك وقائع أخلاقية.

كانط:

الإلزام الأخلاقي: الواجبات

مستمدة من العقل

النفعون: السعادة العامة

سارتر:

الاختيار الفردي والمسئولية.

التفكيكية :

فقدان الثقة في إمكان لغة

منطقية موضوعية أو كاملة

النزعة النسبية

نزعة الشك

المتافيزيقا الزمان والمكان

السببية، الظاهر والحقيقية

الله.

الفلاسفة السابقون على

سقراط:

مم يتركب الكون ؟

الماء ؟ الهواء ؟ النار؟

الرياضة ؟ الذرات ؟

أفلاطون: والمثل

أرسطو والعلل الغائية

آباء الكنيسة والفلسفة

الاسكولائية أمكن البرهنة

على وجود الله ؟

ديكارت: الثنائية

المادة - الذهن

اسينوزا: الواحدية - جوهر

واحد

ليبتنز: المونادولوجيا

جواهر الموناد

باركلي: المثالية

كانط: عالم الظاهر وعالم

النومين

هيجل: المثالية الجدلية

علاقتها «بالحقيقة» موضع

شك

ليونارد

العداء لعبارة «العقل» في

عصر التنوير.

دريدا

التفكيكية

لكان : اختلاف الذات

فوكو : المعرفة والسلطة

لكن : ربما كان هناك بعض

الحقائق الموضوعية ليست

مجرد «بناءات» اجتماعية.

نتيشه :

اللغة مجازية والحقيقة لا

يمكننا بلوغها

فتجنشتين :

الفلسفة ليست سوي لعبة

لغوية واحدة.

رفضها فويرباخ :

المادية الجذرية

ماركس : المادية الجدلية

الوضعية المنطقية

الميتافيزيقا لغو فارغ

فتجنشتين :

«مالانستطيع أن نتحدث عنه

فعلينا أن نلزم الصمت

بصدده».

بيرون ، ديوجنز، سكتتوس

امبريقوس

ديكارت : الشك الديكارتي

هيوم : عن الاستقراء،

والسبب و«المعرفة

الأخلاقية»، والذات.

قراءات أبعد :

هناك حذف صارخ للنساء الفلاسفة في هذا الكتاب، وحتى وقت قريب كانت النساء تُحذف، عن عمد، من منطقة امتياز الرجل أعنى احترام الفلسفة. أما الآن فهناك عدد كبير جداً حتى أنه يصبح مشكلة تغطية هذا العدد في كتاب صغير كهذا الكتاب ، لأن الصورة المنتظرة لما بعد المطالبة بحقوق المرأة ، سوف تتكفل بعلاج هذه المشكلة، لكن حتى ذلك الوقت فر بما أراد القراء معرفة بعضاً من الشخصيات الرئيسية منهن : مارى ولستون كرافت، وسيمون دى بوفوار، وحنأ أرندت، ومارى وارنوك، ومارى ميجلى، وفليبا فوت، واليازبت أنيكوم، وجوليا كريستينا، ومارثا نوسيوم ، وكثيرات غيرهن.

وفيما يلي قائمة بالكتب أرجو أن تكون واضحة ومفيدة، وهي تبدأ ببعض المداخل إلى تاريخ الفلسفة الغربية.

History of Western Philosophy, Bertrand Russell, Routledge, London and New York 1991. Amusing and accessible, but idiosyncratic and now rather old.

A Short History of Philosophy, Robert C. Solomon and Kathleen m. Higgins, oxford University Press, Oxford and New york 1996, A very thotough and readable guide. It makes a stab at including philosophies other than those of the Western world, but is hostile to most postmodernist thought.

From Descartes to Wittgenstein, Roger Scruton, Routledge, London and New York 1981. Sometimes quite difficult, but does miraculously make the philosophies of both Hegel and Frege accessible.

A History of Western Philosophy, D.W. Hamlyn, Penguin, London and New York 1988. Avery thorough and sensible, but sometimes quite demanding, guide to the ideas and arguments of key Western philosophers.

Sophie's World,m Jostein Gaarder, phoenix House, New York 1995, Is "a history of philosophy that thinks it's a novel". It's a better history than novel, though.

Individual books in the Oxford University Press **Modern Masters** series are usually excellent on the lives and central ideas of individual philosophers. The one on **Hegel** by Peter Singer is extremely good. Readers who want clear, brief and accessible guides will benefit from the **Introducing** series of classical and postmodern philosophers, of which this book forms a part.

وهناك كتب أخرى كثيرة ومفيدة ومرشدة إلى الفلسفة منها مثلاً:

Philosophy Made Simple, R.H. Popkin and A. Srtoll, London, heinemann, 1986 and **Made Simple Paperbacks**, New York, 1993.

Introduction to Philosophy, W.J. Earle, McGraw Hill, New York, 1992.

Philosophy or Sophia, Brenda Almond, Penguin, London and New York 1988.

Man is the Measure, Reuben Abel, The Free Press (Macmillan), London and New York 1997.

The Philosopher's Habitat, Lawrence Goldstein, Routledge, London and New York 1990.

Confessions of a Philosopher : A Journey Through Western Philosophy, Bryan Magee, Random House, London and New York 1998.

Most philosophy students have been rescued at one time or another by **An Introduction to Philosophical Analysis**, John Hospers, Routledge, London and New York 1990, a book which is more fun than its title suggests.

An Introduction to Western Philosophy, Anthony Flew, Thames and Hudson, London 1971. This is a very good book because Flew bullies you into thinking for yourself, and so gets you to understand many key philosophical ideas and arguments. Available via Amazon on the Internet.

The Great Philosophers, Bryan Magee, Oxford University Press, Oxford and New York 1988, is accessible because it consists of a series of dialogues between Magee and some modern philosophers discussing key Western philosophers of the past. Magee makes his guests explain things clearly, most of the time.

Issues in philosophy, Calvin Pinchin, Macmillan, London, and Barnes and Noble, New York 1990, is a good book for anyone foolish enough to think they'd like to study for an "A" Level or equivalent in philosophy.

The Concise Encyclopedia of Western Philosophy and Philosophers, ed . J.O. Urmson and Jonathan Rée, Unwin Hyman, London 1976, is full of short and lucid articles about major Western philosophers and ideas.

The Oxford Companion to Philosophy, ed. Ted Honderich, Oxford University Press, Oxford and New York 1995, is very thorough and invaluable for when you want to find out yet more about the Achilles paradox or the man who invented it, Zeno. It also shows you what some modern philosophers look like.

مؤلفات الأستاذ الدكتور: إمام عبد الفتاح إمام

أولاً: التأليف:

- ١ - "المنهج الجدلي عند هيجل" طبعة أولى دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩ - طبعة ثانية وثالثة دار التنوير ببيروت ١٩٩٣ (العدد الثاني من المكتبة الهيجلية) طبعة خامسة مكتبة مدبولي عام ١٩٩٦ .
- ٢ - "مدخل إلى الفلسفة" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٧٢ - طبعة خامسة ١٩٨٢ - طبعة سادسة مؤسسة دار الكتب بالكويت عام ١٩٩٣ .
- ٣ - "كيركجور: رائد الوجودية" المجلد الأول (حياته وأعماله) طبعة أولى دار الثقافة ١٩٨٢ - طبعة ثانية دار التنوير ببيروت ١٩٨٢ (العدد الثاني من سلسلة الفكر المعاصر).
- ٤ - "دراسات هيجلية" طبعة أولى دار الثقافة للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤ - طبعة ثانية دار التنوير ببيروت عام ١٩٩٣ (سلسلة المكتبة الهيجلية).
- ٥ - "توماس هوبز : فيلسوف العقلانية" طبعة أولى دار الثقافة للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤ - طبعة ثانية دار التنوير ببيروت عام ١٩٨٥ - طبعة ثالثة عام ١٩٩٣ .
- ٦ - "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الأول "جدل الفكر" دار التنوير عام ١٩٨٥ - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ٨ من سلسلة المكتبة الهيجلية) - طبعة ثالثة مكتبة مدبولي عام ١٩٩٦ .
- ٧ - "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الثاني "جدل الطبيعة" دار التنوير ببيروت عام ١٩٨٥ - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ٩ من سلسلة المكتبة الهيجلية) - طبعة ثالثة مكتبة مدبولي ١٩٩٦ .
- ٨ - "تطور الجدل بعد هيجل" المجلد الثاني "جدل الطبيعة" دار التنوير ببيروت عام ١٩٨٥ - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ١٠ من سلسلة المكتبة الهيجلية) - طبعة ثالثة مكتبة مدبولي ١٩٩٦ .

- ٩ - "دراسات فى الفلسفة السىاسية عند هيغل" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ . مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ .
- ١٠ - "كيركجور : رائد الوجودية" المجلد الثانى "فلسفته" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٦ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ .
- ١١ - "أفلاطون .. والمرأة" طبعة أولى حوليات كلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٩٢ - طبعة ثانية مكتبة مدبولى ١٩٩٦ (سلسلة الفيلسوف والمرأة).
- ١٢ - "رحلة فى فكر زكى نجيب محمود" مكتبة مدبولى ١٩٩٨ .
- ١٣ - "الطاغية : دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السىاسى" سلسلة عالم المعرفة فبراير عام ١٩٩٤ . طبعة ثالثة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ .
- ١٤ - "معجم ديانات وأساطير العالم" (أربع مجلدات) مكتبة مدبولى بالقاهرة .
- ١٥ - "مدخل إلى الميتافيزيقا" مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩ .
- ١٦ - "توماس هوبز : فيلسوف العقلانية" مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩ .
- ثانياً: بحوث ودراسات:**
- ١ - "المقولات بين أرسطو وكانط وهيغل" .. دراسة بحوليات كلية التربية بجامعة الفتح بليبيا عام ١٩٧٦ .
- ٢ - "مفهوم التهكم عند كيركجور" دراسة بحوليات كلية الآداب - جامعة الكويت عدد رقم ١٩ عام ١٩٨٣ .
- ٣ - "الهيكلية" .. دراسة للموسوعة الفلسفية (المجلد الثانى) معهد الإنماء العربى بيروت .
- ٤ - "الهيكلية الجديدة" .. دراسة للموسوعة الفلسفية (المجلد الثانى) معهد الإنماء العربى بيروت .
- ٥ - "الفلسفة الثنائية عند زكى نجيب محمود" عالم الفكر بالكويت (مجلد عشرون) العدد الرابع يناير عام ١٩٩٠ .

- ٦ - "مسيرة الديمقراطية : رؤية فلسفية" مجلة عالم الفكر بالكويت يناير عام ١٩٩٤ .
- ٧ - "هياشيا: فيلسوفة الإسكندرية" مجلة عالم الفكر بالكويت .
- ٨ - "زكى نجيب محمود فى جامعة الكويت" مجلة عالم الفكر بالكويت، يناير عام ١٩٩٩ .

ثالثاً: الترجمة:

- ١ - "الجبر الذاتى" رسالة كتبها بالإنجليزية الدكتور زكى نجيب محمود - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر عام ١٩٧٢ - مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٨ .
- ٢ - "العقل فى التاريخ" طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٧٣ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٠ - وطبعة رابعة ١٩٩٣ (العدد الأول فى سلسلة المكتبة الهيجلية) طبعة ثالثة مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٩ .
- ٣ - "روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط" اتين جلسون - دار الثقافة عام ١٩٧٢ - طبعة ثالثة مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .
- ٤ - "فلسفة هيجل" تأليف ولتر ستيس المجلد الأول "المنطق وفلسفة الطبيعة" دار التنوير عام ١٩٨٣ - وطبعة رابعة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ (العدد الثالث من المكتبة الهيجلية).
- ٥ - "فلسفة هيجل" تأليف ولتر ستيس المجلد الثانى "فلسفة الروح" الطبعة الثالثة عام ١٩٨٣ - والرابعة عام ١٩٩٣ (العدد الرابع من المكتبة الهيجلية).
- ٦ - أصول فلسفة الحق "لهيجل المجلد الأول طبعة أولى دار الثقافة عام ١٩٨١ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٣ - طبعة رابعة مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ (العدد الخامس من المكتبة الهيجلية).
- ٧ - "موسوعة العلوم الفلسفية لهيجل" طبعة أولى عام ١٩٨٣ دار التنوير بيروت - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد الثالث من سلسلة المكتبة الهيجلية) - مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .

- ٨ - "العالم الشرقي" المجلد الثاني من محاضرات فى فلسفة التاريخ لهيجل (العدد التاسع من سلسلة المكتبة الهيجلية) طبعة أولى عام ١٩٨٥ - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ - مكتبة مدبولى عام ١٩٩٩ .
- ٩ - "الوجودية" تأليف جون ماكورى سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٥٨ أكتوبر عام ١٩٨٢ - طبعة ثانية دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٧ .
- ١٠ - "أصول فلسفة الحق لهيجل" المجلد الثانى دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ (سلسلة المكتبة الهيجلية) مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .
- ١١ - "هيجل .. والديمقراطية" تأليف ميشيل متياس - دار الحدائق بيروت عام ١٩٩٠ - مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .
- ١٢ - "المعتقدات الدينية بين الشعوب" تأليف جوزفى بارندر - سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ١٧٣ مايو ١٩٩٣ - مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .
- ١٣ - "الدين والعقل الحديث" تأليف و. ستيس - مكتبة مدبولى عام ١٩٩٨ .
- ١٤ - "التصوف .. والفلسفة" تأليف و. ستيس - مكتبة مدبولى عام ١٩٩٨ .
- ١٥ - "جون ستيوارت مل" أسس الليبرالية السياسية (بالاشتراك) مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦ .
- ١٦ - "معنى الجمال" تأليف و. ستيس - المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومى للترجمة رقم ١٧٩ .
- ١٧ - "حكايات ايسوب" - المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومى للترجمة رقم ١٧٣ .
- ١٨ - "معجم مصطلحات هيجل" تأليف ميخائيل انوود - المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومى للترجمة رقم ١٨٦ .
- ١٩ - "أفلاطون" تأليف: ديف روبنسون - المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومى للترجمة .
- ٢٠ - "ديكارت" تأليف: ديف روبنسون - المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومى للترجمة .

٢١ - " الفلسفة " تأليف: ديف روبنسون - المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة .

رابعاً: مراجعة:

١ - "الموت فى الفكر الغربى" تأليف جاك شورون - ترجمة كامل يوسف حسين (سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٧٦ أبريل عام ١٩٨٤).

٢ - "الفلاسفة الأغرقيق: من طاليس إلى أرسطو" تأليف و. جونترى - ترجمة رأفت حليم سيف - دار الطليعة بالكويت عام ١٩٨٥ .

٣ - "الفلسفات الشرقىة" تأليف جون كولر - ترجمة يوسف حسين (سلسلة عالم المعرفة بالكويت).

خامساً: التآليف بالاشتراك:

١ - "المنطق ومناهج البحث العلمى" للصف الثالث الثانوى - بتكليف من وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية اللىبية عام ١٩٧٧ .

٢ - "دراسات فلسفية" للمستوى الرفيع - بتكليف من وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية عام ١٩٩٢ .

٣ - "مبادئ التفكير الفلسفى" للثانوية العامة - بتكليف من وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت عام ١٩٩٨ .



المحتويات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٥	العلل الغائبة	٥	مقدمة
٣٦	الأنفس ... والجواهر	٧	أسئلة
٣٧	أخلاق الاعتدال	٨	ما هي الفلسفة
٣٨	اختفاء اللوم	١٠	الشيوقراطية
	الأحلام الأفلاطونية ... والواقعية	١١	اليونان
٣٩	الأرسطية	١٢	سؤال ملطية الكبير
٤٠	فترة فاصلة: تاريخ موجز	١٣	فيثاغورس والرياضة
٤١	الأيقوريون: 'ازرع حديقتك'	١٤	هيراقليطس والعالم المتدفق
٤٢	الرواقيون	١٦	بارمنيديس
٤٣	الشكاك. والقلبية	١٧	مفارقة زينون عن الحركة
٤٤	تاريخ موجز: مرة أخرى	١٨	أبنا دقليس والعناصر الأربعة
٤٥	قدوم المسيحية	١٩	الذريون
٤٦	آباء الكنيسة	٢٠	أقدم لك: سقراط
٤٧	مشكلة الشر	٢١	النسبية الثقافية
٤٨	دليل القديس أنسلم	٢٢	بروتاجوراس السوفسطائي
٤٩	اسمية أيبيلارد	٢٢	الحوار السقراطي
٥٠	الأكويني ... واللاهوت الطبيعي	٢٤	الحكم بالموت
٥١	نصل أوكام	٢٥	أفلاطون والملوك الفلاسفة
٥٢	المذهب الإنساني في عصر النهضة	٢٦	النظرية الفطرية
٥٣	آرازموس: الشاك	٢٧	الصور المثالية
٥٤	المنظرون السياسيون	٢٨	أسطورة الكهف
٥٦	نظرية المقدر الاجتماعي	٣٠	خبراء الفلسفة
٥٧	فلسفة العلم عند بيكون	٣١	أرسطو المعلم
٥٨	أصول الفلسفة الحديثة	٣٢	منطق استنباطي أم قياس؟
٥٩	الشك العلمي	٣٤	الاستقراء ... والعلم

٩٤ من المثالية إلى المادية	٦٠ أنا أفكر، إذن، أنا موجود
٩٥ المادية الجدلية عند ماركس	٦١ الأفكار الواضحة والتميزة
٩٧ فلسفة الاقتصاد:	٦٢ تراث ديكارت
٩٨ فائض القيمة	٦٣ أسئلة اسبنوزا
٩٩ نهاية الرأسمالية	٦٤ واحدية اسبنوزا
١٠٢ المذهب النفى: علم الأخلاق	٦٥ لبيتز والمونودولوجيا
١٠٤ السعادة العامة	٦٧ فولتير ... وعصر التنوير
١٠٥ طفيان ... ومذهب التعدد	٦٨ لوك والتجربة البريطانية
١٠٦ أصول الفلسفة الأمريكية	٧٠ مثالية باركلي
١٠٧ ليس هناك حكومة الأفضل	٧٢ هيوم ... ونزعة الشك التجريبي
١٠٩ آرسون والمعرفة التي تقع فى الموارد	٧٣ مشكلة السبية
١١١ البرجماتية	٧٤ الشك الأخلاقي
١١٢ ش. بيرس	٧٥ روسو وحالة البراءة البدائية
١١٣ علم الدلالات	٧٦ الإرادة العامة
١١٤ وليم جيمس	٧٧ استجابة كانط لهيوم
١١٥ جون ديوى	٧٨ البنية الذهنية تسبق التجربة
١١٦ الديمقراطية	٧٩ عالم الظاهر، وعالم النشئ فى ذاته
١١٧ البرجماتيون الجدد	٨٠ الأمر المطلق
١١٨ الانهيار الفلسفى	٨١ جدل هيكل
١٢٠ مدخل إلى فلسفة القرن العشرين	٨٢ المنطق الجدلى
١٢١ أصول الظاهريات	٨٣ الوعى البشرى والمعرفة
١٢٢ حلقات الوصل بين علم النفس والرياضيات	٨٤ المعرفة النسبية والمطلقة
١٢٣ منهج الرد	٨٥ الدولة ... ونهاية التاريخ
١٢٤ هيدجر: التنقيب عن الوجود	٨٦ تصور شوبنهاور للإرادة
١٢٥ العدم: وانعدام الأصالة	٨٨ نيتشه: ضد المسيح
١٢٦ وجودية سارتر	٨٩ بمعزل عن الخير والشر
١٢٧ الحرية وسوء الطوية	٩٠ التنبؤ بما بعد الحداثة
١٢٨ الحرية السياسية الأصيلة	٩١ العود الأبدى
١٢٩ كامى والعبث	٩٢ كيركجور ... والوجودية المؤمنة
١٣٠ الفلسفة التحليلية: مشكلة الرياضيات	٩٣ قفزة الإيمان

١٥٨ الفوضوية الاستبولوجية	١٣٢ فريجه وإزالة السر عن الرياضيات
١٥٩ من الحدائث ... إلى ما بعد الحدائث	١٣٤ ويبقى السر باقياً
١٦٠ ثلاث 'إذا' لما بعد الحدائث	١٣٥ المعنى والمرجع أو الإشارة
١٦١ نيتشه: وهم الحقيقة	١٣٦ رسل والذرية المنطقية
١٦٢ اللغة ... والواقع	١٣٨ التحليل المنطقي
١٦٣ نسق الإشارات	١٣٩ الوضعيون المناطقة
١٦٤ البنيويون	١٤٠ الوضعية المنطقية عند آير
١٦٦ دريدا والتفكيكية	١٤١ اختبار المعنى
١٦٧ مركزية اللوجوس	١٤٢ الذرية المنطقية عند فتجنشتين
١٦٨ الذات غير الموجودة	١٤٤ معنى المعنى
١٦٩ نهاية الحكايات العظيمة	١٤٥ الألعاب اللغوية
١٧٠ فوكو: لعبة السلطة	١٤٦ أفكار خاصة
١٧١ عالم الواقع المعالي فيه	١٤٧ نظرية فرويد عن اللاشعور
١٧٢ ماذا عن العلم؟	١٤٨ فلسفة اللغة المألوفة
١٧٢ النظرة الواقعية	١٤٩ فلسفة العلم
١٧٥ لمحة عن الفلسفة الغربية	١٥٢ المنهج الاستقرائي
١٧٩ قراءات أبعد	١٥٣ الشبح في الآلة
 مؤلفات الأستاذ الدكتور:	١٥٥ نظرية التكذيب
١٨٣ إمام عبد الفتاح إمام	١٥٦ توماس كون



Introducing... philosophy

**& Dave Robinson
& Judy Groves**

المشروع القومي للترجمة

أقدم لك... هذه السلسلة !

إذا كانت الشكوى عامة من غموض الفلسفة والتباس أفكارها ومشكلاتها على ذهن القارئ العادي غير المدرب، فإن هذه السلسلة تحاول أن تتغلب على هذه الصعوبة، وأن تقوم بدور فعال عن طريق الصور، الرسوم، والأشكال التوضيحية التي تعبر عن الفكرة الفلسفية دون إخلال بمضمونها أو عمقها - إستناداً إلى قاعدة هامة في علم النفس تقول: " إن أغلب الناس بصريون ..."

لكن السلسلة لا تكفي بذلك بل يربط المؤلفان فكر الفيلسوف بما قبله من مذاهب فلسفية حتى يظهر في سياقها التاريخي .. كما يتحدثنا عن أثره في الفكر الفلسفي اللاحق.

ولا يفوتكما بعد ذلك من توجيه النقد إلى مواطن الضعف وإبراز المقارنات والصعوبات التي تواجه ما يوضحان له من أفكار مما يقدم لك قيمة منهجية هامة هي أنه لا يوجد مفكر أو فيلسوف فوق النقد.

وذلك كله يجعل قراءة الكتاب - حتى بالنسبة للذارئ المتخصص - متعة

تقدر...

Bibliotheca Alexandrina



0270713

الموسم